شعر الزُّهد في القرن الثاني الهجري

دراسة موضوعية وفنية

رسالة تقدّمتْ بها الطالبة

بيان علي عبدالرحيم المظفر

إلى

مجلس كلية الآداب / جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور مزهر السوداني

بسم الله الرحمن الرحيم
إقرار المشرف

أشهد ان اعداد هذه الرسالة جرى تحت إشرافي في كلية الاداب – جامعة البصرة وهي جزء من متطلبات الحصول على درجة ماجستير في اللغة العربية وادابها.

التوقيع
المشرف
أ. د: مزهر عبد السوداني
التاريخ: / / ٢٠٠٤م.

بناء على التوصيات المتوفرة نرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع
أ. د: عبدالحسين علك المبارك
رئيس لجنة الدراسات العليا في قسم اللغة العربية
كلية الاداب – جامعة البصرة
التاريخ: / / ٢٠٠٤م

التوقيع
أ.م. ٠٠ ٤ حامد عبد الحميد الكعبي
رئيس قسم اللغة العربية
كلية الاداب – جامعة البصرة
التاريخ: / / ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على الرسالة المقدمة من الطالبة :-

بيان علي عبد الرحيم المظفر ... شعر الزهد في القرن الثاني الهجري – دراسة موضوعية فنية

وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة

ماجستير آداب في اللغة العربية وآدابها بتقدير ( ) .

التوقيع :

عضو:

المشرف:

الأستاذ الدكتور مزهر السوداني

التوقيع :

عضو: ٢٠١/ ماجد عبد الحميد

التوقيع :

عضو :

التوقيع :

الرئيس : أ.م.د. صالح كامل اسكند

نوقشت من قبل مجلس كلية الآداب – جامعة البصرة –

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله
عليهم وكان الله عليماً حكيماً ﴾

سورة النساء / ١٧

صدق الله العلي العظيم

الإهـــداء

إلى مَنْ زرعَ في نفسي الحبّ والعطاء
وعلّمنـــــي معنى الكرامة والكبريـــاء
وكان كالشمعة التـــــي تحتـــــرق
لتنيـــر دربـــــي بالسناء والضيـــــاء
إلى ..
بسمتي ..ودمعتي ..وحزني ..وحناني
إلى ..
أعز مخلوق في دُنياي ...والـــــدي .

بيـــــان المظفّـــــر

شكر وتقدير

يسرني ان اقدم بالشكر والتقدير والأحترام الى جامعة البصرة / قسم اللغة العربية والى عميد كلية الأداب المحترم .....والى رئيس قسم اللغة العربية المحترم ثم اقف وقفة خاصة عند استاذي المشرف الأستاذ الدكتور مزهر السوداني وذلك لما اعطى من وقت كثير في متابعته الدقيقة والمنهجية من خلال ملاحظاته القيمة التي أغنت البحث وتفضل مشكوراً في قراءته للبحث .

واقدم شكري واعتزازي الى عائلتي الكريمة واخص بالشكر والدي العزيز الذي تحمل العبء الأكبر وتابع معي الرسالة حرفاً حرفاً والى والدتي العزيزة والى شقيقي حسين الذي ساهم في طبع رسالتي ، كما اوجه شكري إلى العاملين في مكتبة كلية الاداب ...

جزاكم الله عني خيراً ...

الباحثة

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١ – ٢
التمهيد (الزهد لغة واصطلاحا – نشأة ونموا وتطورا)	٣ – ١٠
الفصل الأول :- موضوعات شعر الزُّهد	١١ – ٣٣
١ – الموت	١١
٢ – الصمت	١٨
٣ – الشيب	٢١
٤ – القناعة	٢٧
٥ – الدنيا	٣٠
الفصل الثاني :- اللغة الشعرية	٣٤–٥٢
١ – الأساليب في شعر الزهد	٣٥
أ – الأساليب الطلبية :- الاستفهام	٣٦
النداء	٣٩
الأمر	٤١
النهي	٤٣
ب – الأساليب غير الطلبية :- القسم	٤٥
التعجب	٤٦
ج – الأساليب الخبرية :- (الابتدائي ، الطلبي ، الإنكاري)	٤٨
٢ – البناء الفني لقصيدة الزهد	٥٠–٥٢

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث :- (الصورة الشعرية)	٥٣-٨٧
مصادر الصورة الشعرية	٥٥-٦٠
ظاهرة الاقتباس	٦١-٦٦
أنماط الصور:- ١- الصـــورة المفردة	٦٧-٧٤
٢- الصورة الاستعارية	٧٥-٨٠
٣- الصورة الكنائيـــة	٨١-٨٦
الفصل الرابع :- الموسيقى الشعرية	٨٧-١٢٨
١- الموسيقى الخارجية	٨٩
أ- الـــــوزن	٨٩
ب- القافيـــــة	٩٧
٢- الموسيقى الداخلية	١١٠-١٢٨
أ- ظاهـــرة التكـــــرار	١١٠
ب- ظاهرة رد العجز على الصدر	١١٥
ج- ظاهرة الترصيـــــع	١١٩
ء- ظاهرتا الجناس والطبـــاق	١٢١
الخاتمة	١٢٩
المصادر والمراجع	١٣١
ترجمة الرسالة باللغة الإنكليزية	١٤٠

المقدمة

ربّما يظن الباحثون والدارسون للأدب العربي أنّ العصر العباسي قد فُرغ منهُ وكادت موضوعاتـــه أنْ تجف ، وارى أنّ القرن الثاني خاصـــةً يزخر بكبار الشعراء أمثال أبي العتاهيـــة وأبي نواس والورّاق ... وغيرهم وهو اغنى عصور الأدب واكثرها ازدهاراً من حيث قيمته وغزارتـــه وتنوّع ما جادت به تلك القرائح من عطاء أدبي ثر ، لذلك وضعتُ الخطى وتوكلتُ على الله في اختيار أحد أغراض هذا الشعر الرصين .

وأما القرن الثاني فيبدأ من الناحية التاريخية سنة ١٠٠هـــ وينتهي سنة ١٩٩هـــ ، ولكن الادب لا يخضع لهذين التاريخين ولذلك اتبعتُ منهجاً درستُ فيه الشعراء حسب التقسيم الذي سار عليه الدكتور شوقي ضيف في كتابـــه العصر الجاهلي ، فالشعراء الذين درستهم وإن كانت وفيات بعضهم في القرن الثالث الهجري لكنهم عاشوا حياتهم الادبية في القرن الثاني الهجري وتأثروا بنـــزعة الزهد .

وقد وقع الاختيار على الزُهد لما لهذا الغرض من اثر في نفسي لأني احبُّ ذلك الشعر المتأمل والخالي من شوائب المديح وجوائزه والهجاء المقذع فهو لا يطلب الأ رضا الله ومغفرته واقناع النفس ، خاصةً وأنا من أسرة تميل إلى التديُّن والتصوّف والزُهد وتتعلق بالمجالس الدّينية وفي أب يدرّس العربية ويهتم كثيراً بشعر الزهد فقد كان يردد في طفولتي بيت أبي العتاهية :-

لَعَمْرُكَ ما الدّنيا بدار بَقاءِ كفاكَ بدار الموْتِ دارَ فَناء

من هـــذا البيت رجعتُ باذاكرتي إلى الأمس عاشقـــةً لغرض الزُهد وكان الفضل الأكبر للأستاذ المشرف الدكتور وليد عبد المجيد الّذي ناقشني أباً وأستاذاً على تفاصيل خطـــــة هذا البحث ... وما أن بدأت خطوات البحث الأولى حتى برزتْ أمامي بعض الصعوبات المتعلقـــة بتوحيد عدّة شعراء ضمـــن غرض شعري واحد هو الزُهد ودراسة شعرهم دراســـة فنيّة تجمع بين **اللغة والصورة والموسيقى** وقد فسح أستاذي لي المجال بالكتابة عن أساليبهم المتنوعة في هذا الغرض فباشرتُ العمل في جمع كل ماكتبه هؤلاء الشعراء من دواوينهم والمصادر الأخرى مثل البيان والتبيين والعقد الفريد والأغاني وجمعتُ ماحقق عنهم في الدوريات المتنوعة وقد ساعد البحث الدؤوب على جعل هذا الشعر في متناول يدي وعرضتُ ما جمعته أمام الأستاذ فوافق على ذلك ووضعتُ خطتي الاتية :-

١ - **التمهيد** :- بحثتُ عن غرض الزُهد وهو قديم ظهر في أوليات الشعر العربي وفي العصرين الإسلامي والاموي في القرن الأول والثاني

٢ - **الفصل الأول** :- درستُ موضوعات شعر الزهد وركّزتُ على المهم منها .

٣- الفصل الثاني :- اللغة الشعرية وتشمل :-

١- الأساليب في شعر الزهد .

٢- البناء الفني لقصيدة الزهد .

٤- الفصل الثالث :- الصورة الشعرية ، درست مصادرها ووجدتُ من اهمها البيئة والأنسان والثقافة ودرستُ ظاهرة الاقتباس ، و أنماط الصور في قصائد الشعراء ، فمنها الصورة المفردة (التشبيهية) والأستعارية والكناية .

٥- الفصل الرابع :- الموسيقى الشعرية وتشمل ،الموسيقى الخارجية ((الوزن ، والقافية)) والموسيقى الداخلية وتشمل ((ظاهرة التكرار ، وظاهرة رد العجز على الصدر، وظاهرة الترصيع وظاهرتا الجناس والطباق)) .

وقد ختمتُ البحث بكلمة ختامية ذكرتُ فيها أهم النتائج الّتي توصّلتُ لها ، ذاكرة في ختام رسالتي المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها .

وبعدُ فلا بدَّ في ملك الختام انّ اقدّم جلّ شكري وتقديري للدكتور وليد عبد المجيد ابراهيم لما أبدى من اخلاص في توجيهاته السديدة واعتذر له عن صبره معي في تحمل عناء هذا البحث .

كما اشكر بتقدير لا يوصف الأستاذ الدكتور المشرف مزهر السوداني الّذي اكمل معي إنجاز هذا البحث بعد الظروف الّتي حصلتْ في شهر آذار من العام الماضي وقد عانيتُ ما عانيتْ من نقص في المصادر وذلك بسبب سرقة المكتبة وفقدان المصادر ومع ذلك كان أصراري وتشجيع الأستاذ الدكتور المشرف لي سبباً في خروج تلك الرسالة بالشكل المطلوب ، شاكرة كلّ مَنْ مدَّ يدَ العون لي وما التوفيق الا من عند الله سبحانه .

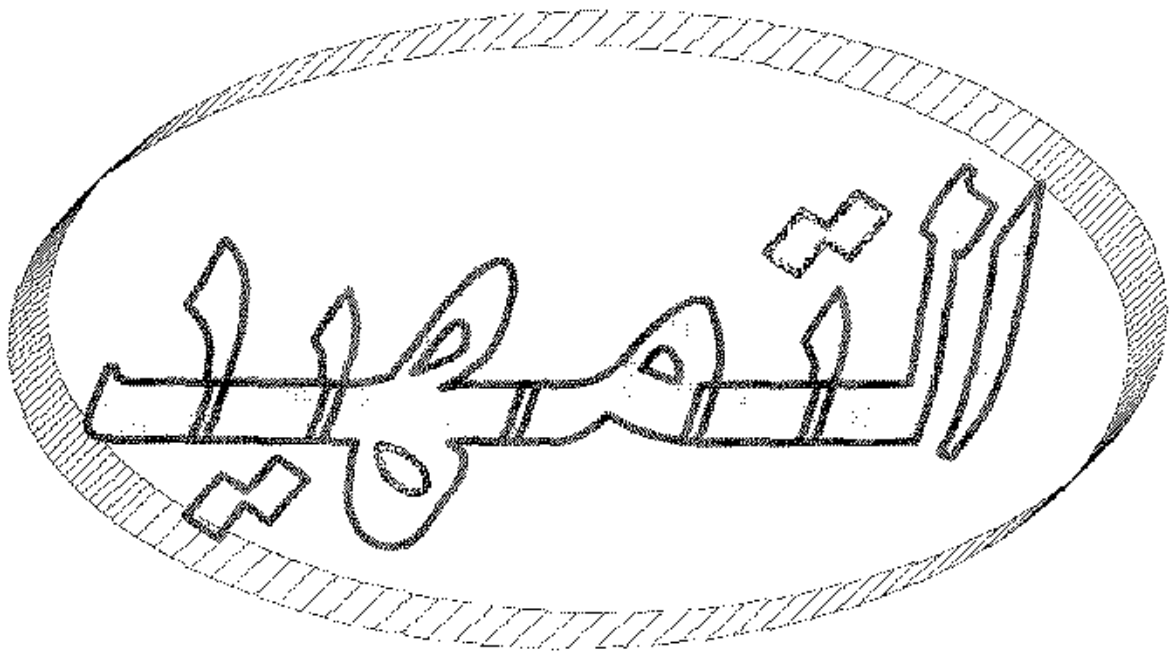
التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

الزُهد لغة و اصطلاحا ـ نشأة ـ نموّاً وتطوراً .

إنّ دراستي للزُهدِ تتطلّبُ منّي أنْ أبيّن خطّ التطور والنمو في مسار الشعر العربي وفي مرحلةٍ من أهم مراحلهِ وهي القَرن الثاني الهجري الّذي يسمّى بصدر الدولة العباسيّة الّتي أسستْ عام ١٣٢هـ (٧٤٩م). إنّ : ((الأدب الّذي ساد في صدر الدولة العباسيّة يسمّى الأدب العباسي نسبةً إلى الدولة الّتي قيل في أيامها)) (١) .

ويجدر بي أنْ أتعرّف على معنى الزُهد –موضوع بحثي– في اللغة والاصطلاح .

الزُهد لغة :-

جاء في اللسان :- ((زُهْدٍ ،الزُهد ،والزهادة في الدّنيا ولا يُقال الزهد إلا في الدين خاصة ،والزُهد ضد الرغبة ،والتزهّد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه ،وزُهد في الأمر رغب عنهُ ،وفي حديث الزُهري سُئل عن الزُهد في الدّنيا فقال هو أنْ لا يغلب الحلال شكره ولا الحرامُ صبرهُ أراد أنْ لا يعجز ولا يقصر شكره على ما رزقهُ الله من الحلال ولا صبرهُ من ترك الحرام)) (٢) .

وجاء في الصحاح :-

يُقال زَهُد في الشيء ،عن الشيء وفلان يتزهّد أي يتعبد وقولهُ عزّ وجل :-

((وكانُوا فيهِ مِنَ الزاهِدِينَ)) *

قال ثعلب :- اشتروهُ على زُهدٍ فيه ، والزُهدُ القليل المال ، وفي الحديث النّبوي :-

((أفضلُ الناسِ مؤمنٌ مُزهّدٌ)) *

---

١ –تاريخ الأدب العربي ،عمر فروخ ، ٢/٢٩.

٢ –لسان العرب (مادة زهد) .

*سورة يوسف / ٢٠

*الصحاح في اللغة ،الجوهري : ٥٤٧/ لم أجد هذا الحديث ذكرا في كتب اصحاب السنن .

((والزهد القليلُ الشيء وانما سُميَ مُزْهداً لأنَ ما عنده من قلّته يُزهدُ فيه وشيءٌ زهيد قليل)) (١) .

قال الأعشى يمدحُ قوماً بحسن مجاورتهم جارةً لهم :-

فلن يطلبوا يسرها للغنى ولن يتركوها لازهادها (٢) .

يقول لن يتركوها لقلّة مالها وهو الازهاد .

وقال عدي بن زيد العبادي :-

وللبخلةِ الأولى لمن كان باخلاً اعفَ ومن يبخل يلمَ ويُزهد * (٣) .

وفي الصحاح يزهد اي يُبخل ويُنسب الى أنّهُ زهيد لئيم ورجلٌ زهيد وامرأة زهيد قليلة الطعام (٤) .

الزهد اصطلاحاً :-

معناه (القلّة) والزاهدُ في الدّنيا التارك لها ولما فيها ، حبّاً بالآخرة والجمعُ زهّاد (٥) .

ويعني الزُهد منطلقاً من أحاديث الرّسول (صلّى الله عليه وسلم) وما نقله الصحابة (رضى الله عنهم) ((التعفف والقناعة والابتعاد عن الترف والإسراف واكتناز الأموال والصمود أمام مغريات الحياة الدّنيا والتفكير بالآخرة والتقوى والورع)) (٦) .

وهذا يعني أنّ الزهد هو مرادف للصوفية وصفة من صفاتهم وهو التحلي بالفقر والقناعة وأن تكون بما في يد الله أغنى منك عمّا في يدك وذلك لأنّ المفاهيم الزهدية فيها ايضاً كثير من المعاني الروحية والخُلقية لأن في الزهد نوع من رياضة النفس وتذكيرها بالموت وهو مفتاح الرغبة في الآخرة .

١- الصحاح في اللغة (ماده زهد) .

٢- الديوان ٦١ / وينظر جمهرة ، ابن دريد ٢/٢٦١ . ومقاييس اللغة ، ابن فارس ٣/٣١ .

٣- الديوان ت د . محمد جبار المعيد ١٠٨ .

* البيت في الديوان غير مستقيم .

٤- الصحاح في اللغة (مادة زهد) .

٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، ت د . عبد العزيز مطر (مادة زهد) .

٦- شعر الزهد والتصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، رافع اسعد عبد الحليم ، رسالة ماجستير جامعة بغداد ١٩٧٥/٥ .

ولم يكن الزُهد ((من ابتداع العصر العباسي إذْ يمكن تتبع أصوله إلى عهد الرّسول (صلى الله عليه وسلم) والتماسه في بعض المأثور من حديثه)) (١) .

وقد نقلَ صاحبُ العقد الفريد بعضاً من الأقوال للرّسول (صلى الله عليه وسلم) عن الزُهد منها :-

((قيل لرّسول الله (صلى الله عليه وسلم) يا رسول الله :- مَنْ أزهد الناس في الدُنيا ؟

قال:- مَنْ لم ينسَ المقابر والبلى وآثر ما يبقى على ما يفنى وعدَّ نفسهُ مع الموتى)) (٢) .

لذا اصبح الزُهد الإسلامي ((سلوكاً عملياً قصد كبح جماح النفس وترويض طبائعها ونفي خبائثها بتقليل الزاد وتخشين اللباس والنظر إلى الدُنيا بعين الاعتبار)) (٣) .

((ولقد تعددتْ الفرق والمذاهب الإسلامية في هذا العصر وكثرتْ ، واحتدم الخلاف بينها فكانتْ كلُّ فرقة تعرضُ آراءَ ها وتُؤيّد موقفها وتدافع عنهُ وترد على الآخرين وكان الشعر من ابرز أساليب التعريف والإعلان لدى هذه الاتجاهات)) (٤) .

وقد نقل صاحبُ زهر الآداب قولاً للخليفة الأوّل أبي بكر الصدّيق (رضي الله عنهُ) عن الزُهد إذ قال :

((إنكم في مهلٍ من ورائه أجل فبادروا مهلَ آجالكم قبل أنْ تنقطع آمالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم)) (٥) .

((وكان الخلفاءُ الراشدون مقتصدين في أخذهم من طيبات الحياة الدُنيا مبادرين مهرعين إلى الآخرة فأبو بكر (رضي الله عنه) كان يمنع نفسهُ ما تشتهي من الطعام وحين توفي – لم يبقِ على غناه – الا درهماً واحداً)(٦) .

١– في الأدب العبّاسي الرؤية والفن ، د. عز الدّين إسماعيل /٢٩ .

٢– العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي ٣/٧١. لم أجد لهذ الحديث ذكراً في كتب أصحاب السنن

٣– نفسه ٣/١٧١.

٤– التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأوّل ، مجاهد مصطفى بهجة ، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر ١٩٧٥/٢٠٠.

٥– زهر الآداب ، الحصري القيرواني ، ت محمد محي الدّين عبد الحميد ١/٣٢.

٦–الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ١/١٥٢.

وقد ذكر الجاحظ في بيانه قولاً عن الزُهد للخليفة الفاروق عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

((الناسُ طالبان : طالبٌ يطلبُ الدّنيا فارفضوها في نحره فانّهُ ربّما أدرك الذي طلبَ منها فهلك بما أصاب منها ، وربّما فاتهُ الذي طلب منها فهلك بما فاتهُ منها ،

وطالبٌ يطلبُ الآخرة فإذا رأيتم طالبَ الآخرة فنافسوه)) (١) .

وكذلك نقل الحصري للخليفة قولاً عن الزُهد : -

((ما كانت الدّنيا همَ رجُلٍ قطُ إلاّلزم قلبه أربع خصال :-فقرٌ لا يدرك غناهُ ،وهم لا يعرف مداه ، وشغلٌ لا إله ،وأملٌ لا يبلغ منتهاه)) (٢) .

أما عثمان بن عفان(رضى الله عنه) على الرغم من حالة الغنى التي كان عليها وتميّز بها عن جميع الصحابة، الاانه كان زاهداً ورعًا شديد الخوف من الله بذل كلّ غالٍ ونفيس من اجل الإسلام ورفعته.

قال أبو هريرة (رضى الله عنه)

((اشترى عثمان بن عفان (رضى الله عنه) الجنّة مرتين :بيع الخلق حين حفر بئر رومة ،و حين جهّز جيش العسرة)) (٣) .

وكان عثمان (رضى الله عنه) كثيراً ما يتذكّر الموت حتى انهُ إذا ما وقف على قبرٍ بكى حتى يُبلّ لحيته حيثُ قال :-

((وددتُ أني إذا متُّ لا ابعث خوفًا من الحساب)) (٤) .

وجاء في نهج البلاغة قولٌ للإمام علي (عليه السلام) في الزُهد .

كان الإمام علي (عليه السلام) يخاف من المال خوفًا شديدًا فيقول لاصحابه :-

((المالُ مادّة الشهوات)) (٥) .

١- البيان والتبيين ، ت عبد السلام محمد هارون ٣/٩٢.

٢-زهر الآداب ١/٣٢ .

٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، الحافظ أبو نعيم الأصفهاني ١/٥٨

وينظر :- تاريخ الزُهد والتصوف الإسلامي واثرهُ في البصرة خلال القرنين الأول والثاني عادل إسماعيل خليل العبود ، رسالة ماجستير جامعة البصرة ٢٠٠٢م / ٣٠ .

٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١/٥٩ .

٥- نهج البلاغة ، الشريف الرضي ، شرح محمد عبده ٤/٦ .

واخذ الإمام علي (عليه السلام) يرسم للزُهاد حقيقة الزُهد في الدُنيا حيثُ قال :-

((إنّ الزّاهدينَ في الدُنيا تبكي قلوبُهم وانْ ضحكوا ، ويشتدُّ حزنُهم وانْ فرحُوا ويكثرُ مقتُهم أنفسهم وانْ اغتبطوا بما رُزقوا)) (١) .

وقد قال بحقّهُ الحسن (عليه السلام) :-

((كونوا من الدُنيا على حذر فانّ الدُنيا لو أبقت على أحد لكان الأنبياء أحقّ بالبقاء وأولى بالقضاء)) (٢) .

وللحسن البصري (ت ١١٠ هـ) اكبر زُهاد البصرة قولٌ كثيرٌ عن الزُهد منهُ :-

((مثقالُ ذرّةٍ من الورع خيرٌ من الف مثقال من الصوم والصلاة)) (٣) .

وقول الزُهري (ت ١٢٤ هـ) :- ((قيل للزُهري ما الزهد ؟ قال :- أما الله ليسَ تشعيثُ اللمة ، ولا قشف الهيئة ولكنّهُ صرف النفس عن الشهوة)) (٤) .

وجاء في العقد الفريد قولٌ للخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) في الزُهد :-

((قيل للخليل بن احمد مَنْ ازهد الناس في الدُنيا ؟ قال :- مَنْ لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود))(٥)

ونقل صاحب عيون الأخبار في فصل من كتاب الزُهد اقوالاً كثيرة عن الزُهد منها قول الفُضيل بن عياض (ت ١٨٧ هـ)

((اصل الزُهد الرضا من الله)) (٦) .

وقد أشار أحد الباحثين إلى أنّ ((ورود تساؤل ما الزُهد ؟ وحدهُ يشير إلى أنّ عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد آذن بولادة هذه النزعة التي كانت إرهاصات وتأملات بل أنّ هذا التساؤل يشير من طرف ثانٍ إلى جهل بعض المسلمين بماهيّة الزُهد)) (٧) .

١- نهج البلاغة ، الشريف الرضي ، شرح محمد عبده ١/٢٢٢.

٢- زهر الآداب ١/٦٢.

٣- البيان والتبين ٣/١٤٤.

٤- العقد الفريد ٣/١٧١.

٥- نفسه ٣/١٧١ .

٦- عيون الأخبار ، ابن قتيبة ٦/٣٥٧.

٧- شعر الزُهد والتصوّف ٢٦.

ومجمل القول :-أنّ الزُهد في مدلوله اللغوي والاصطلاحي قد أخذ حصةَ الأسد في العصر الإسلامي إذْ كانت لفظة زاهد اقرب إلى عابد وقارئ ، ثُم بدأت اللفظة تأخذ مساراً ونمواً تقليدياً ومعقداً في حقبةٍ لاحقةٍ نتيجةً لتعقد الحياة والصراعات الفكرية والأوضاع الاقتصادية التي سأتي عليها في هذا التمهيد حتى دخولي في القرن الثاني الهجري بالتحديد وقد اندمجتْ تلك اللفظة بدلالات التصوّف والتوسع المعرفي .

ولابد من القول :- ((في الزُهد الأوّل الذي يطالعنا عند الورعين من العبّاد والزُهّاد ثُم طائفةٌ من الأحاديث والروايات والوقائع تشير إلى نزعة الزُهد والعزوف عن الدُنيا لدى بعض الصحابة والتابعين)) (١) .

ويجب ذكر قول احد المستشرقين وهو جولد زيهير على طائفة الزُهاد الأوائل المعاصرين للنبي والمقربين منهُ كالبهلول بن ذؤيب ((الذي خرج إلى جبل بجوار المدينة ولبس لباس الشعر وربط يدهُ خلفَ ظهره بسلاسل من حديد وجعل يصيح يارب انظر إلى بهلول يَرسف في الأغلال)) (٢) .

ولابدّ من التفريق بين الزُهد والتصوّف ، فالأوّل عرّفْتُهُ ، أما الثاني ((فقد اختلف الصوفية أنفسهم في تعريفه وتحديده اختلافاً بالغاً حتى اربى ما وضع للتصوّف من تعاريف على المئات)) (٣) .

((وقد اشار (ول ديورانت) صاحب كتاب (قصة الحضارة) إلى تصوّف الصين واليهود والفرس والى التصوّف المسيحي الذي كان ذا اثر على التصوّف الإسلامي فيما بعد)) (٤) .

وهنا أتوقف عند نقطةٍ حساسةٍ ومهمةٍ جداً يختلف في إثباتها الباحثون فيما يتعلّق بالنزعة الزُهدية التي تساير البوادر الفلسفية السائدة في هذا القرن

((كالأخذ بالحقائق وما إليها التي ستنصب في حركة التصوّف)) (٥) .

وكان للصوفية أقوال بُثّتْ في بطون كتب التراجم منها قول أبي سليمان الداراني * (ت ٢١٥هـ)

١- شعر عمر بن الفارض : دراسة في فن الشعر ، د. عاطف جودة نصر /١٠.

٢- في التصوّف الإسلامي وتأريخه ،نيكلسون ، ترجمة أبو العُلا عفيفي / ٤٠.

ويُنظر العصر العباسي الأول /٨٧.

٣- الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد ، عدنان حسين العوادي /٢٦.

٤- نفسه / ٢٣ .

٥- التصوّف في الشعر العربي ، عبد الحكيم حسان /٤٦ .

((الزُّهد ترك ما يشغل عن الله تعالى)) (١) .

ثمة مقارنة بسيطة بين زهد القرن الأول والقرن الثاني حيث يمكن القول :-

شهد القرن الأول الهجري حركات سياسية ، وتطاحناً رهيباً ، وشهد تعصباً للدين خوفاً عليه ، كما شهد تخلياً عن هذا الدين ونزوعاً الى الإلحاد وحالة من عدم الأيمان الحقيقي .

وهكذا بدأتْ من خلال دراستي المسَّ البذور الأولى لنشوء ظاهرة دينية فكريّة دُعيت بالزهد ، حتى إذا دخلتْ القرن الثاني لمستْ ظهور طبقة مرفهة ... كما اشتدت الاغراءات المادية وكان ذلك ينذر بكارثة كبرى هي التخلي عن الروح الديني والإفلاس الخلقي ... (٢) .

أنّ الأشعار التي توجد فيها عناصر من الزهد والتقوى والأيمان والتي ظهرت في القرن الأول ما هي الا إرهاصات للشعر الزهدي الذي برز في القرن الثاني والذي هو مذهب له خصائص معينة ولهُ اصول وعناصر يرتكز عليها ... (٣) .

وقد تميّز زهد القرن الأول بنمو متأثر بآي القرآن الكريم حيث لم تأخذ لفظة الزهد دلالتها الكاملة عند الزهاد حتى بات يافعاً قادماً من العصر الإسلامي الذي أذن بولادة حركة الزهد ... (٤) .

وهناك حقيقة ينبغي التنبيه إليها أن الزهد في القرن الثاني هو مذهبٌ لهُ خصائصهُ ، فهو إذن ليس حالة من حالات الإيمان يصورها الشاعر فحسب ... بل انهُ فكرةٌ عميقة يعتنقها الشاعر فتتغلغل في كيانه ويلتبس بها شعره ... (٥) .

من هنا أستطيع أن أقارن بين غرض الزهد في القرن الأول والثاني من حيث الأفاق الآتية :-

١ – إنّ لفظة الزهد لم تكن وليدة القرن الأول وانما جاءت منسابة من العباد والنساك وفي الإسلام كانت تخص الزهد المقصود في القرن الأول ثم الثاني .

٢ – تشابهت مواقف الزهاد في القرن الأول مع زهاد المسلمين الأوائل وقد أخذت بعداً اكبر في القرن الثاني لتعقد الحياة .

١– شعر ابن الفارض / ١٠ .

٢– ينظر شعر الزهد والتصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين ٣٠ – ٣١ .

٣– ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري / ٢٨٤ .

٤– ينظر شعر الزهد والتصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين / ٦ .

٥– ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري / ٢٨٤ .

٣- لم يأخذ غرض الزهد استقلاليـــه في مطلع الإسلام ولا في القرن الأول وحتى الثاني بل اخذ استقلالاً في القرن الثالث ، هذا ما يؤكد تشابه الغرض في القرنين الأولين .

٤- لم تختلف دلالات الزهد (كالموت ، ذم الدنيا ، مهاجمة الغنى ، الترف ، الفقر ، الحساب ... الخ) في القرن الأول والثاني بل أخذت طابعاً مضاعفاً في الثاني اكثر من الأول نتيجـــــة كثرة الشعراء وتغيرات الزمن وانتشار الغنى الذي يعكس حالة فقر تميل إلى الزهد ؟

ولابدّ انّ يشيع أمام هذا الترف ، التأنق في الملبس والثياب وأنواع الطيب والذي يقف أمام العامة المحرومـــة التي كانت تحيا حياة بؤس وشظف عيش وضنك وضيق ، وقد علل الدكتور شوقي ضيف نتائج هذا قائلاً:

((ولعلّ هذا البذخ وما صحبـــــه من اعتصار الشعب هـــو السبب الحقيقـــي في كثـــرة الثـــورات على العباسيين)) (١) .

ومن هُنا أجد الطبقات التي تعيش معيشةً صعبةً مالت إلى الزُهد :-

((وكانت موجة المجون أكثر حدّة ولكنها لم تكن عامّة في المجتمع ، بل كانت خاصة بالمترفين)) (٢) .

وفي الوقت نفسه ((كثر قصّاص الوعظ الذين كانوا يدفعون الناس إلى العبادة ورفض المتاع الدنيوي وسلوك السبيل الواضحة إلى نعيم الآخرة)) (٣) .

٥- إن الزهد في القرن الثاني اكثر من الأول تبعاً للأحداث والفتن واختلاف ميزان القوى الاقتصادية .

ولعلّي أجد الزُهـــــد كان عاملاً باعثاً على تطبعُ الناس نتيجة فقرهم وحاجتهـــم لهذا الغرض فلـــم يكن اكثر الناس شعراء فقد عبّر الشاعر عن مصداقية تلك الفئات مصوراً نفسه وإياهم وكان هذا العامل هـــو الذي الذي كان سوراً يحمي الإنسان من ملذاتـــــه لاسيما ((وانّ البـــذخ كان يتمتـــع بـــه الخلفـــاء وحـــواشيهم من البيت العباسي ومن الوزراء والقادة وكبار رجال الدولة ومن اتصل بهم من الفنانيـــــن شعراء ومغنين ومن العلماء والمثقفين ، وكأنما كُتب على الشعـــب انّ يكـــدح ليملأ حيـــاة هـــؤلاء جميعاً بأسباب النعيم)) (٤) .

وجملة القول انّ الزُهد في القرن الثاني قد اصبح غرضاً مميّزاً تعددتْ شعراؤه حتى اصبح هذا الغرض بأبعاده ومناهجه القديمـــة طابعاً فكرياً في عقـــود هـــذا القرن عند الزهّـــاد المتأخرين والصوفـــــة حتى أجد :-

((انّ الزُهد قد تضمّن معنىً مادياً وروحياً وأخلاقياً فهو بُعد عن الدّنيا وملذاتها وتعلّق بالآخـــرة مما جعل الرازي يرى القلّة والخلوة والجوع هي الزُهد)) (٥) .

١- العصر العباسي الأول / ٥١ .

٢- نفســـــــه / ٨٣ .

٣- نفســـــــه / ٨٤ .

٤- نفســـــــه / ٤٥ .

٥- طبقات الصوفية ، أبو عبد الرحمن السلمي ، ت محمد عبد المنعم ١١٣ .

الفصل الأول

موضوعات شعر الزُّهد

موضوعات شعر الزهد

١ -**الموت** :- لم يكن هذا اللفظ جديداً على شعراء الزُهد في هـذا القرن ، فهو سؤال مطروح لدى جميع الشعراء وسوف يبقى لغزاً كبيراً للإنسان يشغل حياته ولن يصل بتساؤلاته إلى أجابة محددّة مهما طرح من فكر وابتغى من تساؤل فالله اعلم بأسبابه ودواعيه وما بيد الإنسان من حيلة للابتعاد عنه أو تغييره وقد نظر إليه الشعراء بتعمق وتبصّر شديدين وقد وجدتُ أن غرض الزُهد كاد أنْ يكون متبنياً لتلك اللفظة بل ممتلكاً لها ، فقد أعطاها نصيباً كبيراً ، وقد تنوع ألفاظ الموت عنـد الشعراء وجاءت لتصف حالات مختلفة فهذا مالك بن دينار* (ت ١٣١ هـ)

يطلبُ انْ تحي القبور ومن بها وأنها لا تجيب من يسألها وقد أعيت عن الإجابة هي وساكنوها :-

ألاحيّ القبورَ ومن بهنّهْ ... وجوهُ في التراب احتبهنّـهْ
فلو أنّ القبورَ أجبن حيّاً ... إذا لاجبْنني إذْ زرتهنّـهْ
ولكنّ القبورَ صمتْنَ عني ... فآبتُ بحسرةٍ من عندهنّهْ (١) .

أما الشاعر عبدالله بن المبارك** (ت ١٨١ هـ) فيعد من كبار الحفّاظ في عصره وكان يجمع بين حفظ الحديث والفقه على مذهب أبي حنيفة ، والأدب والنحو واللغة والشعر والفصاحة واشتهر بعد ذلك بتنسكه وزهده (٢) .

كما في قوله واصفاً الدّنيا بأنها تنزل ساكنها حيناً وترفعه حيناً آخر وقد تحاصره ولايجد منفذاً من مشاكلها .

---

* مالك بن دينار (ت ١٣١ هـ) أبو يحيى البصري من رواة الحديث ، كان ورعا يأكل من كسبه ويكتب المصاحف بالأجرة ، توفي في البصرة ... ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي ، ت علي محمد البجاوي ٣/٤٢٦ . وينظر الأعلام ، الزركلي ٦/١٣٤ . ودراسات في التصوف الإسلامي ، د محمد عبد المنعم ٢ / ٦٦

١ – حلية الأولياء ٢ / ٣٧٣ .

** عبد الله بن المبارك :- من الزهاد الورعين الذين عرفوا بالتجرد للعبادة ، وهو من خراسان له أبيات في الزهد وذم الدنيا ، طبقات الفقهاء ، لأبي إسحاق الشيرازي ٧٨٠ ، وينظر مراة الجنان ، لليافعي ١ / ٣٧٩ ، والنجوم الزاهرة ، ابن تغرى بردي ٢ / ١٠٣ .

٢ – ينظر العصر العباسي الأول ٤٠٣ .

تَهْوى بساكنِها طوْراً وترْفعه إذا رَجَوْا مَخْرجاً من غَمها قَمِعُوا
ليَنْفع العِلمُ قبلَ الموتِ عَالمهُ قد سَالَ قومٌ بها الرَّجعَى فما رَجَعُوا (١) .

وقال هلول المجنون (ت ١٩٠ هـ) * مخاطباً الإنسان الّذي يغرّهُ المال وتأخذهُ ملذات الدّنيا بعيداً ناسياً القناعة والزهد :-

هَبْ انّكَ قد ملكْتَ الأرض طرّاً ودانَ لك العبادُ فكان ماذا ؟
الستَ تصير في قبر ويحثو عليكَ ترابه هذا وهذا ؟ (٢) .

وقال الشاعر عن صفة تنفع الإنسان وهي التواضع الّتي يكبر بها الإنسان وهو يكتفي من دنياه بالقوت الّذي يسد حاجته ويبتعد من المرء الّذي يهتم ويولي الدّنيا الزائلة اهتماماً وكل هذا لا يجدي نفعاً لانه سيرحل الى القبور ويقترب من سكانها الصامتين .

حقيقٌ بالتواضع من يموت وحسبُ المرء من دنياه قوتُ
فما للمرء يصبح ذا اهتمام وشغل لا تقوم لهُ النعوتُ ؟
صنيعُ مليكنا حَسَنٌ جميلٌ وما ارزاقنا مما يفوتُ
فيا هذا سترحل عن قريبٍ إلى قوم كلامُهم السكوتُ (٣) .

ويخاطب الشاعر جامع الدّنيا والحريص عليها مستغرباً لمن يجمع وهو يعرف إن الموت أمامه لا خلاص منه إذ يقول :-

---

١- سير أعلام النبلاء ٨/٣٦٥ .

* هلول المجنون :- أبو وهيب عمر الصيرفي او الصوفي (ت ١٩٠ هـ) وقبره ببغداد ...أعيان الشيعة ، السيد محسن الامين ١٤/١٥٣ . ونقل صاحب الأعلام انهُ من عقلاء المجانين لهُ أخبار ونوادر وشعر ولد ونشأ في الكوفة واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسماع كلامه ، كان في شبابه من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون . ينظر فوات الوفيات ، الكتبي ١/٨٢ ونزهة الجليس ، الموسوي ١/٣٨ ودائرة المعارف الأسلامية (مادة هلول)

٢- أعيان الشيعة ١٤/١٠٣ .

٣- نفسه ١٤/١٦٢ .

فيا جامع الدّنيا حريصاً لغيره لمن تجمع الدّنيا وأنت تموتُ (١) .

أما الشاعر سعدون المجنون* (ت ١٩٠ هـ) فيصف الدّنيا بأنها امرأة لكنّها قبيحة وقد كثر خطابها وهم يرون أنها تقتلهم واحداً بعد الأخر عمداً وقد رأوا عجائبها ويوصي بالتزود والاستعداد للموت حين ينادي المنادي كما في قوله :-

---

١ – أعيان الشيعة ١٤/١٥٩ .

*سعدون المجنون :- هو سعيد المجنون وكنيته أبو عطاء ولقبه سعدون وهو من أهل البصرة وكان من عقلاء المجانين وحكمائهم وله أخبار ملاح وكلام سديد ونظم ونثر ، طوّف البلاد ودونت أخباره ،استقدمهُ المتوكل وسمع كلامه ، صام سنتين فجفّ دماغه فسماه الناس مجنوناً .

فوات الوفيات ٢/٤٨ ، ٥٠ . ويُنظر عقلاء المجانين ، النيسابوري ٥٨ .

ما اقبح الدّنيا بخطابها ... تقتلهم عمداً قتيلاً قتيلْ
تستنكح البعل وقد وطنتْ ... في موضع آخر منه البديلْ
أنى لمغترّ وان البلى ... يعمل في نفسي قليلاً قليلْ
تزودوا للموت زاداً فقد ... نادى مناديه الرحيل الرحيلْ (١).

اما الشاعر أبو نواس (ت١٩٩ هـ) فهو أستاذ فن الخمريات في الشعر العربي ولا حياة في رأيه سوى حياة الخمر والمجون (٢).

ويقول عنه الدكتور مصطفى الشكعه ((أما أبو نواس فلم يقل ما قال من شعر الزهد إلا بعد أن قعدت به الصحة عن أن يستمر فيما ظل يخوض فيه من وحل وما يرتكبه من إثم ورجس طوال حياته ، ومن ثَمّ فإنّ مرارة الندم قد ألحّت عليه فعدلَ إلى جانب النسك)) (٣).

ويقول عنه الدكتور شوقي ضيف ((وحين علتْ سنُّ أبي نواس ووخطه الشيب اخذ يفيق أحياناً من سكره مفكّراً في الحياة وعواقبها وفي البعث والنشور والموت والفناء ، وكان من حين إلى حين ينيب إلى ربه ، مما جعلهُ يردد أنغاماً مختلفة في الزُهد)) (٤).

يؤكد أبو نواس على سرعة الموت وأخذه بعجالة أسرع من لمح البصر ثم يخاطب من يهتمون بالدنيا ومزاقها وملذاتها ويتفاخرون بحضرهم وثيابهم الفاخرة فانهم سوف يظهرون في ثياب اقل قيمة تختلف عن ثياب دنياهم .

انَّ للموتِ اخذةً ... تسبقُ اللّمحَ بالبصرْ
وكأنّي بكم غداً ... في ثيابٍ من المدر * (٥).

وينفرد أبو نواس في وصف الموت بانه شرعٌ الهي قدر للبشرية جمعاء إذ قال :-

والموتُ شرعٌ واحدٌ ... والخلقُ مختلفو الضّروب (٦).

١- فوات الوفيات ٢/ ٤٩ .
٢- ينظر العصر العباسي الأول ٢٣٤ .
٣- الشعر والشعراء في العصر العباسي ٢١٠ .
٤- العصر العباسي الأول ٢٣٦ - ٢٣٧ .
٥- الديوان برواية الصولي ، ت . د بهجة عبد الغفور الحديثي ٩٨١ .
* المدر :- قطع الطين اليابس الحمرة التي يُدفن بها الميت .
٦- الديوان ، ت الغزالي ٦١٦ .

ومن شعره الذي يؤكد فيه على عدم ترك الإنسان غيّه وشره مالم تنهاه نفسه وتحده ذاته عن الأقدام على الذنوب ويتعجب من الموت الذي تساوى به صاحب العقل وفاقده كما في قوله :-

لا تتناهى النفس عن غيّها ... ما لم يكن منها لها ناهي
لله درّ الموتِ من خُطّةٍ ... فيها استوى الأحمق والداهي
انا لننساها وقد مُرّتْ ... مثّا بأسماع وأفواهِ (١) .

ويرى أبو نواس الموت ضيفاً وقد انفرد بهذا الوصف لوحده بين شعراء عصره ، وقد أمر الإنسان أن يستعد استعداداً بأفضل عدته لملاقاة الموت:-

الموتُ ضيفٌ فاستعدَّ لهُ ... قبلَ النّزول بأفضل العُدَد (٢) .

ولكنهُ لم ينسَ قسوة الموت فهو لا يحابي احداً عندما يحين وقته قائلاً :-

الايامونتُ لم أرَ منكَ بُدّاً ... قسَوتَ فما تكفُّ وما تُحابي (٣) .

ويعرض الشاعر على السامع انْ يأتي الى القبور عند الصباح مؤكداً على طلوع الفجر على هؤلاء الموتى فعندما ينبلج الصباح تسمع القبور ماذا تقول ، فانّ سكوتها يثير التساؤل وكأنها غيّرتْ ما في داخلها في الصباح واتتْ بآخرين إذ يقول :-

ألا تأتي القبورَ صباحَ يومٍ ... فتسمعَ ما تخبّرُكَ القبورُ ؟ !
فانّ سكوتها حَرَكٌ تنادى ... كأنّ بطونَ غائبها ظهورُ (٤) .

ويرى الموت قريباً وغير بعيد عن الإنسان ، ودلائل ذلك النعي لهذا وذاك وأصوات النوائح في البيوت حيث تحزن القلوب ولا تترك الأسى ، وتتكرر لفظة الموت دالة على أثرها في وجدان الشاعر :-

الموتُ منّا قريبٌ ... وليسَ عنّا بنازحْ
في كلّ يومٍ نعيٌّ ... تصيحُ منه الصوائح
تشجي القلوبَ وتبكي ... مولولاتُ النّوائح
والموتُ في كلّ يومٍ ... في زنْدِ عيشكَ قادح (٥) .

١- الديوان ، برواية الصولي ٩٨٩ .
٢- زهديات أبي نواس ٤٤ .
٣- نفسه ٨٥ .
٤- الديوان ، ت الغزالي ٦١٣ .
٥- نفسه ٦١٤ .

اما الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) فقد ((عُرِفَ بتقواه وزهده ورفعة خلقه فلم تُعرف لهُ صبوة في شبابه ولا كهولة)) (١) .

وكان رجل دين مشهوراً بالفقه والتفسير والحديث ولهُ مؤلفات كثيرة تتجاوز المئة مؤلفاً (٢) .

وكان الزُّهد من بين الأغراض التي وردت في شعره الذي توزّع بين الدعوة إلى العلم والحث عليه والالتزام بالآداب الإسلامية والقيم فقد قال في الموت شعراً كثيراً يصف فيه الذين تمنوا موته كرهاً وبغضاً وحسداً له وهو مستغرب منهم ألموت سبيله الوحيد ام للبشرية جمعاء وانّ موت الذين سبقوه ماكان مؤثراً على الحياة وما حياة الذين يعيشون بعده بخالدة وفي تلك المفارقة يرد الشافعي على اقوال اللائمين اذ يقول :-

تمنّى رجالٌ انْ اموتَ وانْ امت ... فتلك سبيل لستُ فيها بأوحدِ
وما موتُ منْ قد مات قبلي بضائر ... ولا عيشُ منْ قد عاش بعدي بمخلدي
لعل الذي يرجو فنائي ويدّعي ... به قبل موتي ان يكون هو الردي (٣) .

والشاعر كلثوم بن عمرو العتابي* (ت ٢٠٨ هـ) من الشعراء الذين كان بعض شعرهم في الزُّهد وقد اتخذ من الزُّهد طريقاً ، وقد روى صاحب النجوم الزاهرة انه كان يتزهد ويلبس الصوف .

قال مخاطباً الحياة التي هي فانية مثله وليس باقية ووصف مَنْ يصدق الحياة وينسى المنايا التي ارتبطت في الأعناق :-

هوني ما عليكِ واقتني حياءً ... لستِ تبقين لي ولستُ بباقِ
اينا قدمتْ صروف المنايا ... فالذي أخرت سريع اللحاقِ
....
غرّ مَنْ ظنّ أن تفوت المنايا ... وعراها قلائد الأعناقِ (٤) .

١- مرآة الجنان ، لليافعي ٢/٢١ .

٢- ينظر الفهرست ، لابن النديم ٢٩٥ - ٢٩٧ .

٣- ديوان الشافعي ٨٠ .

* العتابي :- هو من ولد عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة ، نشأ في قنسرين وسافر ثلاث مرات إلى بلاد العجم ، فتعلم ما كان في خزائن الكتب بـ (مرو) ومدح البرامكة ووصلوه إلى الرشيد فقرّبه إليه على الرغم من انه عذّبه لميله الى مذهب الاعتزال حتى هرب إلى اليمن واتصل في خلافة المأمون بـ عبد الله بن طاهر ، توفي العتابي ٢٠٨ هـ ... تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ٢/٣٦ .

٤- العتابي وما تبقى من شعره ، د. ناصر حلاوي ، مجلة المربد ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ع ٢-٣

وقال :-

ونازح الدار ما ينفك مغتربـــاً عن الأحبة ما يـــدرون ما حالـــي
بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها لا يخطر الموت منْ حرص على بالـــي (١) .

أما الشاعر أبو العتاهية (ت ٢١١ هـ) فـ

((لم ينجُ من الاتهام بالزندقة ، بل إنه اتهم بالشعوبية ، وقد وجدتْ له أبيات كثيرة فُسرتْ – في غير ما تعسف – بأنها دليل على مذهبه هذا ، هذا وأبو العتاهية لم يلتـــزم الزهد والتنسك إلا بعد أن أشبع نفسهُ من ملذات الدنيا وبعد الجري في حلبـــة أبي نواس ووالبـــة ودعبل وجماعتهم التي اتخذتْ المجون شعـــاراً ومذهباً)) (٢) .

ويرى الدكتور هدارة ((أن عناصر الإيمان وتقوى الله لابد أنها كانت موجودة في نفس كل زاهد تحيط به المؤثرات العنيفة والعوامل القويـــة فتجعله ينحرف إلى المجون واللهو ، ولكنها تكون بمثابة غشاء رقيق يستر الإيمان العميق)) (٣) .

أرى أن من الأسباب التي حولت أبا العتاهية من تيار اللهو والمجون الى الإيمان وتقوى الله :-

١ – إحساسه الدفين بضعة أصله ونقصه ، وهذا الإحساس النفسي حملهُ على أن ينادي بأن التقوى هي العز والكرم .

٢ – حبه لعتبة الذي صهر مشاعره وكان بلا أمل فصار بذلك حرماناً جديداً أضيف إلى أسباب تنسكه (٤) وقول أبي العتاهيـــة وهو يسأل القبور عن سكانها أصحاب الوجوه التي خمدتْ منعفرة فكانت الريح التي تهب عليهم تغير ريحهم العطرة وقد أكل التراب أجسادهم المنعمـــة ووجوههـــم النضرة ولم يبقَ من هؤلاء المنعمين بالأمس غير جماجم عارية وعظام نخرة

إني سألتُ القبرَ ما فعلتْ بعدي وجوهٌ فيكَ مُعفرهْ
فأجابني صيّرْتُ ريحَهمُ تُؤذيكَ بعدَ روائح عطرهْ
وأكلتُ أجسـاداً مُنعّمـةً كانَ النّعيمُ يهزّها ، نضرهْ
لم أبقِ غيرَ جماجمٍ عريتْ بيضٍ تلوحُ وأعظمٍ نخرهْ (٥) .

---

١ – العتابي وما تبقى من شعره ٤٠٤ .

٢ – الشعر والشعراء في العصر العباســـي ٢١٥

٣ – اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٢٩٢.

٤ – ينظر نفســـه ٢٩٢ – ٢٩٣ .

٢ – **الصمت** :– ((الصمتُ حليةٌ تزين صاحبها ، وخلّة ترفع من مقامه ، وكما يحسن المرء الحديث ينبغي أن يحسن الصمت)) (١) .

وقد حثّ الإسلام على الصمت إنْ لم يكن خير من القول ، وقد تناول شعراء القرن الثاني الصمت ودعوا إلى التحلي والألتزام به ، وهو من علامات زهد المرء وتواضعه وتقواه .

ويؤكد الشاعر صالح بن عبد القدوس (ت ١٦٧ هـ) بعدم جدوى تقديم الكلام الّذي لا ينفع دون اعطاء الجيد المؤثر منه وانّ الصدق خير ما يقدمهُ المرء وبعدهُ الصمت الّذي يكون خيراً للإنسان من نطق يضر به فيقول :–

لاخير في حشو الكلا م إذا قدرت على عيونه
والصدق خير للفتى عندي واحسن من يمينه
والصمتُ خير بالفتى من منطق في غير حينه (٢) .

ويضع الشاعر صالح بن عبد القدوس موازنة بين الصمت والكلام الّذي يكون في موضع إثم فان السلامة في ترك الكلام المؤذي للإنسان وعليه أنْ يكون عادلاً في هذا الكلام والا يبقى ساكتاً قائلاً :–

وللصمتُ خيرٌ من كلام بمأثم فكن صامتاً تسلم وأن قلتَ فاعدل (٣) .

وقال عبدالله بن المبارك مادحاً مالك بن انس إمام الهجره وذلك لخلقه وعلمه واصفاً إياهُ بالصموت لا يتكلم الا في متطلبات الكلام وحين يسفر على الكلام يكون جديراً به وهو يدرك بانّ زينة الصمت تعطي المرء قدراً ومهابة :–

صموتٌ إذا ما الصمت زيّن أهلهُ وفتاقُ أبكار الكلام المختم (٤) .

وعبدالله بن المبارك يدعو إلى حفظ اللسان إذْ فيه مقتل صاحبه كما يقول المثل الشائع (مقتل المرء بين فكيه) (٥) .

---

١ – التيار الأسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، ٣١٧ .
٢ – الديوان ١٤٣ – ١٤٤ .
٣ – نفســـــــه ١٤٧ .
٤ – العقد الفريد ٣/٢٢١ .
٥ – مجمع الامثال ، للحنفي ٢/٢٢٩ .

احفظ لسانك أنّ اللسانَ حريصٌ على المرء في قتْله *
وأن اللسانَ بريدُ الفؤادِ دليلُ الرّجال علـى عقْلـه (١) .

وينصح ويوجه السامع حين يُقدم على النطق بالباطل فانّ البديل عن ذلك الباطل هو التسبيح وذكر الله وخيرٌ من هذا اغتنام السكوت بديلاً عن الخوض في أمور لا تنفع حتى وإنْ كانت في كلام فصيح مؤثر في السامعين كما في قوله :-

وإذا ما هممْتَ بالنُطق بالبا طلِ فاجْعَلْ مكانَهُ تسبيحا
فاغتنام السكوتِ افضل من خو ضٍ وإنْ كنتَ بالكلام فصيحا (٢) .

وقد شخّصَ أبو نواس داءً للصمت ويطلب من المرء أن يموت في داء الصمت خيرٌ من الموت في داء الكلام الّذي يضر بصاحبه حين يكون في غير محله إذْ يقول :-

مُتْ بداءِ الصمتِ خيرٌ لكَ من داءِ الكلامِ (٣) .

ومما أوصى به أبو نواس أن يُكْتب على قبره هذا البيت المؤكد على الصمت :-

وعَظْتُكَ واعظةٌ صُمْتٌ ونَعْتُكَ ناعيةٌ خُفْتٌ (٤) .

وقد عنى بالصمت :- الأجداث ... وبالخفت :- الأزمنة .

ووضع أبو نواس مفارقة بين الصمت والهذر إذ يقول :-

وصمْتُكَ من غير عيّ اللسا ن أزيَنُ من هَذَر المنطق (٥) .

وقال الشافعي مؤكداً على حفظ اللسان وقد حَذر منهُ ويشبهه بالثعبان الّذي يلدغ فجأة وأن المقابر قد قبرت الّذين قتلوا بسبب ما ارتكبته ألسنتهم من أخطاء وجرم وقد كانوا مهابين في ميادين القتال قائلاً :-

احفظ لسانك أيّها الإنسان لا يلدغنك إنّه ثعبانُ
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الأقرانُ (٦) .

---

* كذا في الأصل ، وهو مكسور .

١- الورقة ١٧ .
٢- سير أعلام النبلاء ٣٦٨/٨ .
٣-الديوان برواية الصولي ٩٨٥ .
٤-زهديات أبي نواس ٦٦ .
٥- نفسه ٨٠ .
٦- الديوان ١٦٥ .

وقال متحدثاً بلسان حاله وهو يحاور منْ سألوه عن سبب صمتـــه وقد أجاب مقنعاً أن مفتاح الشر هو الإجابة المخطئة وأنّ الصمت عن الجاهل والاحمق يعد شرفاً للمرء وفيه صلاح وقبول لستر المرء لحالـــه حين يصون نفسه من المخاصم قائلاً :-

قالوا سكت وقد خوصمت قلتُ لهـم ... أنّ الجواب لباب الشر مفتاحُ
والصمت عن جاهل أو أحمق شرف ... وفيه أيضـــاً لصون الصون إصلاحُ (١) .

أما الشاعر أبو العتاهيـــة فيبدأ بالدعاء للمرء الّذي أمّا انْ يصمت أو يقول خيراً مبرراً القول الشر أو المغالطة في الكلام فقد قال :-

رَحِمَ الله امرءاً أنصف من ... نفسه إذ قال خيراً أو صَمَتْ (٢) .

وقال مؤكداً على قول الشيْ الحسن والعروف عن الكلام القبيح :-

وقلْ حَسَنًا وأمسكْ عن قبيح ... ولاتنقك عن سوءٍ صموتا (٣) .

وقال أبو العتاهية واصفاً من يخوضون في الكلام لهدف الإيجاز ولو أعتمدوا على الصمت فانه افضل من ذلك الإيجاز وهو يضع معادلـــة بين من لا يحسن الصمت ويعجز عن ادائه وبين الّذي يكون عاجزاً عن البيان والإيضاح في القول قائلاً :-

يخوضُ أناسٌ في الكـــلام ليوجزوا ... وللصّمتُ في بعض الاحاين أوجَزُ
إذا كنتَ عن انْ تحسن الصمت عاجزاً ... فأنت عن الإبلاغ في القول أعجَزُ (٤) .

وأرى ما ذكره الدكتور مجاهد مصطفى بهجة صائباً حين أكّد رجوع تلك الأبيات لثلاثـــة شعراء هـــم (ابن المبارك والشافعي وأبي العتاهية)

١- الديوان ٧٢ .
٢- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٥٦ .
٣- نفســـــه ٦٦ .
٤- نفســـــه ١٨٦ .

٣- الشيب :- هذه اللفظة مبثوثة كثيراً في قصائد الشعراء وفي هذا الغرض وقد تشكل نسبة مهيمنة بعد الموت . ولن أقول محددة الشيب حصراً بشعراء الزهد دون غيرهم فقد يذكره الآخرون ولكن ليس بتلك النسبة الملفتة للنظر وهو يحمل دلالة كبر السن والقرب من الموت والتبشير بقرب الأجل والاتعاظ بمصير الإنسان الزائل وهذا صالح بن عبد القدوس (ت ١٦٧ هـ) قد ذم الشيب وصار بيته هذا مثلاً عند الشعراء :-

ذهب الشباب فما له من عودة ... واتى المشيب فأين منه المهربُ (١) .

أما الشاعر عبد الله بن المبارك فانه يسأل المشيب هل جاء مستأذناً وكيف يطيب العيش عند نزوله وقد يراه واعظاً للمرء من مغريات الحياة ولكن الموت سوف يكون قريباً لا محال منه :-

أبإذنٍ نزلتَ بي يا مشيبُ ... أيَ عيشٍ وقد نزلتَ يطيبُ
وكفى الشيبُ واعظاً غير أني ... أملُ العيش والممات قريبُ (٢) .

ولم يغب الشيب عن الشعراء المجانين مثل سعدون المجنون الذي اعترف بأنه قد ترك النبيذ لا صحابه والمدمنين عليه واصبح يشرب الماء القراح وذلك لمعرفته بمضار النبيذ وذلته للنفس العزيزة واستهانة الناس به ومن ذلك انه لا يناسب عمر صاحب الشيب إذا كان للشباب حق في شربه:

تركتُ النبيذَ لأهل النبيذِ ... وأصبحتُ أشرب ماءً قراحا
لأنَّ النبيذَ يُذلُّ العزيزَ ... ويكسو الوجوهَ النضار الصباحا
فإن كان ذا جائزاً للشبابِ ... فما العُذرُ فيهِ إذا الشَّيبُ لاحا (٣) .

و الشاعر أبو نواس يرى أن الشيب واعظ كبير وناصح يقدم موعظته لأصحاب الحظ السعيد الذين يفهمون ويستوعبون نصيحته ولكن هناك من الناس ناسٌ لا تفهم ولا تسمع بل يأخذها الهوى وتترك الحق جانباً إذ يقول :-

لله درُّ الشيبِ من واعظٍ ... وناصحٍ لو قبلَ الناصحُ
يأبى الفتى الا اتباعَ الهوى ... ومنهجُ الحقِّ له واضحُ (٤) .

١- الديوان ١٢٣ .
٢- سير أعلام النبلاء ٣٦٧/٨ .
٣- صفة الصفوة ٥١٥/٢ .
٤- الديوان ، رواية الصولي ٩٧٨ .

وقال الشاعر مشيراً إلى ترك الملاهي والملذات التي لا تنفع لا سيما وقد بان الشيب وظهر في مفارقه:-

أنقضتْ شرتي فعفتُ الملاهي ورمى الشيبُ مفرقي بالدَّواهي (١) .

ويتفق معهم الشاعر يحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) * بأنّ الشيب نذير للإنسان يخبرهُ بأنّ الشباب راح ولا يعود ثانية إذ يقول :-

ألم ترَ شيباً شاملاً ينذرُ البلى وانّ الشبابَ الغضَّ ليس يعودُ (٢) .

أما الشافعي فانهُ يصف اشتعال مفارقه وظهور الشيب فيها وقد أنطفأ شبابه واظلَمَ ليلهُ واستعد للرحيل وهو يصف ذلك الشيب بالبومة التي اتخذتْ عشّاً فوق هامته وتشاءم منها وقد طار غراب الشؤم ولكن لا جدوى فيقول :-

خبتْ نارُ نفسي باشتعال مفارقي وأظلَمَ ليلي إذْ أضاء شهابها

أيا بومة قد عششتْ فوق هامتي على الرغم مني حين طار غرابها (٣) .

وأما أبو العتاهية فقد جمع بين الموت والشيب في قوله :-

فيا ليت شعْري أبعْدَ المَشيبِ سوى المَوْت منْ غائبٍ يُنْتَظرْ (٤) .

وهذا يحمل دلالة الخوف من نوب الدهر والاحتراز من صولته التي لا ترحم وحين يتذكر أيام الشباب التي انتهتْ بظهور علامات الشيب فلا يجد سبيلاً غير البكاء فيقول :-

فيا أسفا أسِفتُ على شَبابٍ نَعاهُ الشَّيبُ والرَّأس الخَضيبُ (٥) .

ويرى أنّ الشيب كالزرع لا بدّ أنْ يحين حصاده والحصاد هو نهاية الإنسان (الموت) كما في قوله :-

ليْسَ على ذي النصْح إلا الجَهْدْ الشَّيْبُ زَرْعٌ حانَ مِنْهُ الحَصْدْ (٦) .

١- الديوان ، رواية الصولي ٩٩٠ .

٢- شعر اليزيديين ٤٣ .

* يحيى بن المبارك :- لم يعرف عنه لهو ولا مجون بل كان عفيفاً تقيّاً ، قال عنه ابن جراح :- كان له أشعار كثيرة في الرشيد وجعفر بن يحيى وغيرهما ، قبل أن يموت احرقها واخذ علينا ألا نخرج غير المواعظ ..... الورقة ٢٨ - ٢٩ وينظر نور القبس المختصر من المقتبس ، للمرزباني ٨٠ .

٣- الديوان ٢٩ .

٤- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ١٦١ .

٥- نفسه ٣٢ .

ويرى أبو العتاهية أن المشيب قد كسا المرء رداء البياض وسرق اثواب الشباب من فوق كتفي المرء منذراً بالموت وانتهاء العمر إذ يقول :-

أمّا المشيبُ فقدْ كساكَ رداءهُ وابتزّ عن كتفيكَ أثوابَ الصّبا (١) .

ويكشف أبو العتاهية موقف النساء من المشيب :-

إنّ الشبابَ لنافقٌ عندَ النّسا ما للمَشيبِ من النّساءِ حبيبُ (٢) .

قال محمد بن حـــازم الباهلي* (ت ٢١٥ هـ) قطعةً في ذم الشيب موضّحاً فيها ظهور الشيب في مفارقه وابتعاد صاحبته عنهُ فالشيب يقف عارضاً بينهما كما في قوله :-

لما أضاءت بالمشيبِ مفارقي صدتْ صدودَ مفارقٍ متجملِ
فجعلتُ أطلب وصلها بتذلـــلٍ والشيبُ يغمزُها بالا تفعلـــي (٣) .

وقد كان الشيبُ واحداً من ثلاثة أمور يمرُّ بها المـــرء (السن ، الشيب ، الجهل) وهـــي من الأمـــور المنبوذة في حياة الإنسان :-

أبعد خمسين أصبو ؟ والشيبُ للجهل حربُ
سنٌّ وشيبٌ وجهلٌ أمرٌ لعمرك صعـــبُ (٤) .

ويقارن الشاعر بين حالتين هما البكاء نتيجة الألم وبين المغنّي الذي يتذكّر نعمته ثم يحين الشيب فيسلب المرء حلاوة الشباب وليس بمغنٍّ عليه عندما يحين المشيب مذكراً مهدداً بالموت :-

---

١- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ١٣ .

٢- نفســـــــه ٢٨ .

* محمد بن حازم :- ولد في البصرة وانتقل الى بغداد فسكنها وقد اتصل بالخليفة المـأمون والحسن بـــن سهل وعبدالله بن طاهر وقد مدحهم وكان راضياً باليـــير وقد قال فيه ابن المعتز ((ابن حازم يصف نفسه بالقناعة والنـــزاهة وكان احرص من كلب))

ينظر ابن المعتز في طبقاته ٣٠٧ ، ٣٠٩ ... وينظر المحمدون من الشعراء وأشعارهـــم ، علي بن يوسف القفطي ٢٢٦ ... والوافي بالوفيات ، للصفدي ٢/٣١٧ .

٣- ديوان محمد بن حازم الباهلي ، جمعهُ شاكر العاشور ، مجلة المورد ، وزارة الأعلام ، الجمهورية العراقية ، م٦ ، ع١ ١٩٧٧ م صـــ ١٩٥ .

فمن بين بـــاكٍ لـــه موجَـعٍ وبين معـــزٍ مُغذٍّ إليـه
ويسلبهُ الشيبُ شرخَ الشبابِ فليس يُعزّيهِ خلقٌ عليهِ (١) .

وقال يمدح الشباب الذي انقضى بقوته ورجولته وذم الشيب الذي أمسى عيباً عليه :-

كفاكَ بالشيب عيباً عند غانيةٍ وبالشبابِ شفيعاً ايّها الرجلُ (٢) .

وقد بكى محمد بن حازم الباهلي على الشباب :-

أبكي الشبابَ لندمانٍ وغانيةٍ وللمغاني و الأطلال والكُثبِ (٣) .

ويعود للشيب ذاكراً حالة تقليدية كررها الشعراء وهي رحيل الشباب وحلول المشيب فليس من عودة للشباب الذي مضى حين يقول :-

وقد رَحَلَ الشبابُ وحلّ شيبٌ فهلْ لك في شبابك من رجوعِ (٤) .

أما الشاعر محمود الوراق* (ت ٢٢٥ هـ) فيتخذ من ذاته مثالاً للمعاناة والقهر فانه يختلف عن الناس ففي كل ثالثة يظهر لـه الشيب لشدة حالته وظروفه بينما يشيب الناس بعد أعمار طويلـة وقد يحاول أن يخفي الشيب جاهداً ولكـنهُ يظهر على الرغم من محاولته كما يغطّي المذنب ذنوبه ولا يستطيع ذلك كما في قوله :-

يشيب الناس في زمـن طـويل ولي فـي كل ثالثـة مشيـبُ
واخفي الشيب جهدي وهو يبدو كما غطى على الريب المريبُ (٥) .

وكان الشيب خضاباً يعود على المرء ولاسيما حينما تخرج النصول في ذقن المرء والمرء يعجز عن رد الشيب إذ يقول :-

---

١- ديوان محمد بن حازم ٢١٧ .
٢- نفســـــه ٢٠٧.
٣- نفســـــه ١٩٩ .
٤- نفســـــه ٢٠٥ .

* الوراق :-شاعر اكثر شعره في المواعظ والحكم ، روى عنهُ ابن أبي الدنيا وفي الكامل للمبرد نتف من شعره وهو صاحب البيت المشهور : إذا كان وجهُ العذر ليس يُبينُ فانّ اطراح العذر خيرٌ من العذرِ
الكامل للمبرد ٤/١٠٤ ، ١٠٦ وينظر حماسة ابن الشجري ٣/٨٣٤ ، فوات الوفيات ٢/٢٨٥ .

٥- ديوان الوراق ٤٠ .

يا خاضب الشيب الذي ... في كل ثالثة يعودُ
أن الفصـــول إذا بدا ... فكأنه شيب جديدُ
ولـــه بديهة لوعـــة ... مكروهها أبدا عتيدُ (١).

ويشبه الشيب بالزائر الذي يجب إكرامه فيقول :-

للضيف أن يقرى ويعرف حقه ... والشيب ضيفك فاقره بخضاب (٢).

ويبكي على شبابه مؤكداً على أن المرء يعجل في قص الشيب إذا جاء في غير حينه :-

إذا ما الشيب جار على الشباب ... فعاجله ، وغالط في الحساب (٣)

وكان الشيب نجوماً تمشي على مهل :-

فكأنما فيها النجوم إذا ... جدّ المسير بها على مهل (٤).

ويصف الشاعر ذلك الوافد الذي مرّ به وهو الشيب بعد شباب رحل ، وقد مرّ الشباب وكأنه لم يكن وما زال الشيب باقياً على حاله لا يذهب ويزول كما زال الشباب لأنه نهاية الإنسان :-

روافد شيب طرا ... بعقب شباب رحل
شبابٌ كأنْ لم يكن ... وشيبٌ كأنْ لم يزلْ (٥).

ويصف الشيب بأنه نذيرٌ وهو واحد من علامات الدهر وتغيراته السريعة وهو يشبه سواد الليل بالشعر الأسود فقد تلوّن نجوم السماء بضوئها البرّاق كما يلوّن الشيب الشعر الأسود :-

فاجاك من وفد المشيب نذير ... والدهرُ من أخلاقه التغييرُ
فسوادُ رأسك والبياضُ كأنهُ ... ليلٌ تذبُ نجومهُ وتسيرُ (٦).

وقال أيضاً :-

طويتُ عوانَ الشيب من فرط قبحه ... بأقبح منهُ فانقضتْ وما انطوى (٧).

١- ديوان الوراق ٦٠.
٢- نفســـه ٤٥.
٣- نفســـه ٣٨.
٤- نفســـه ١٠٧.
٥- نفســـه ١٠٩.
٦- نفســـه ٦٩.
٧- نفســـه ٣٥.

ويقدّم سلاحه ووداعه إلى الدّنيا ومسرّاها الّتي انتهت والشيب الّذي ظهر والسن الّذي وصل إليه اصبحا ينعيان رحيله ويخبرانه بالأجل القادم الّذي نسيه بالبهجة والسرور كما في قوله :-

منّي السلام على الدّنيا وبهجتِها فقد نعاها إليّ الشيبُ والكبرُ (١) .

أما الشاعر بشر بن الحارث* (ت ٢٢٧ هـ) فقد كان من كبار الصالحين وقد فاق أهل عصره ورعاً وزهداً وله أقوال تنم عن زهده الأصيل وتصوفه الإسلامي (٢) .

وقد ذكر أحد الباحثين سبب توبته بعد أن عثر على رقعةٍ مكتوب فيها اسم الله وقد وطئتها الأقدام فأخذها واشترى بدرهم كان معهُ طيباً فطيبها وجعلها في شق حائط ، فرأى في المنام كأنّ قائلاً يقول:- يا بشر طيّبت اسمي لا طيبّ اسمك في الدنيا والاخرة (٣) .

وقد كان غرض الزّهد من أهم الأغراض الّتي اشتهر بها بشر بن الحارث كما في قوله مشبّهاً الشيب وبياضه كأنّهُ ما سقط من ريش صغير في زغب الحمام مشيراً إلى كثرته وانتشاره في شعره وقد نهى عن نفسه الفسق في وقت الشباب ومتطلبات الملذات فكيف يفسق وقد وصل به العمر إلى وقت ظهور الشيب مما يدعو إلى التحذير من الفسق والعظة بظهور الشيب :-

لشيبٌ يلوحُ كأنّما نفضتْ زَغباً عليه حمائمٌ بُلّقُ
ما كنتُ أفسق والشبابُ أخي أفحين شبتُ يجوزُ لي فسْقُ (٤) .

١- ديوان الوراق ٨٠ .

* بشر بن الحارث :- هو أبو نصر المعروف بالحافي ، من كبار الصالحين له في الزّهد والورع أخبار وهو من ثقات رجال الحديث من أهل (مرو) سكن بغداد وتوفي بها .
صفة الصفوة ٢/ ١٨٣ ... دائرة المعارف الإسلامية (مادة بشر) ، الأعلام. /٢٦٢ .

٢- ينظر الفهرست ٢٦٠ .

٣- ينظر التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ١٤٢ .

٤- حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين ، للزوزني ٢/٤٦ .

٤- القناعة :- اتفق شعراء الزهد جميعاً على هذه اللفظة ولا يغيب عن أحد معناها وقد اسميها اتجاهاً يكون ذا وقع في النفس ففي القناعة حرص على الشخصية وعدم الانقلات للملذات الدنيا وفيها عز والخروج عنها ذل .

وقد رأى الشعراء في مجمع حديثهم عن القناعة :- أنّ القناعة تقرُّ عين صاحبها وأنّ اكبر غنى هو غنى النفس ، فقد قال سفيان الثوري* (ت ١٦١ هـ) :-

إن كنتَ ترجو الله فاقنع به فعندهُ الفضل الكثير الكثيرُ
مَنْ ذا الذي تلزمهُ فاقةٌ وذخرهُ الله العلي الكبير (١) .

ويؤكد الشاعر صالح بن عبد القدوس على عدم الحرص لأنهُ لا يزيد للإنسان شيئاً في الرزق بل يزيد في الشقاء والتعب والتفكير إذ يقول : -

لا تحرصنْ فالحرص ليس بزائدٍ في الرزق بل يشقى الحريصُ ويتعبُ
ويظلُ ملهوفاً يروم تحيلاً والرزقُ ليس بحيلةٍ يستجلبُ (٢) .

واما الشاعر أبو نواس فيدعو بالجنة لمن رزق القناعة والاكتفاء بما لديه وعدم النظر لرزق الناس فان الطمع يصرع المرء ويبقى عبداً لديه مسيراً وراءه كما في قوله

طوبى لمنْ رُزِقَ القناعة لم يُرِدْ ما كانَ في يدِ غيرهِ فيُرى جَزِعْ
ولئن طمعتَ لتُصْرَعَنَّ فلا تكنْ طمِعاً فإنَّ الحرَّ عبْدٌ ما طمِعْ (٣) .

ويعاتب من يظل حريصاً على الغنى وهو يعلم بما يسد حاجته :-

تظلُّ على الغنى أبداً حريصاً تخافُ فواتَ شيءٍ لا يفوتُ (٤) .

أما الشافعي فيرى أن رأس مال الإنسان (القناعة) والتي ظلَّ يتمسك بأذيالها حتى فقدانها وهو يخلص ممن يريد أنْ يطلب منه ويشغل فكره بحاجته لا ممن يظنهُ محتاجاً إليهِ ومع هذه القناعة صار غنى النفس يمر على الناس كالملك ليس بحاجةٍ إلى أحد كما في قوله :-

---

*سفيان الثوري :- هو أبو عبد الله بن سعيد الثوري ، ولد في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين ومات سنة إحدى وستين ومائة في خلافة المهدي . طبقات الفقهاء ٦٥ .

١- حلية الأولياء ٦/٧٧٣ وينظر سير أعلام النبلاء ٨/٤٠٠ . وينظر تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ٩/١٧٦

٢- الديوان ١٢٦ .

٣- زهديات أبي نواس ٨٩ .

رأيتُ القناعةَ رأسَ الغِنى فصرتُ بأذيالها متمسكْ *
فلا ذا يراني على بابِهِ ولا ذا يراني بهِ منهمكْ
فصرتُ غنيّاً بلا درهمٍ أمرُّ على الناس شبه الملكْ (١) .

وقال كلثوم بن عمرو العتّابي في القناعة :-

ولو قنعتْ أتاني الرزق في دعةٍ أن القنوع الغنى لا كثرة المال (٢) .

أمّا الشاعر أبو العتاهية فيرى أنّ القنوع يحمي عرضهُ ويعيش قرير العين ليس مهموماً يجمعُ من الدّنايا فأنّ القناعة تترك المرء مرتاحاً دائماً فيقول :-

وقنوعُ المرء يحمي عِرْضَهُ ما القريرُ العين إلا مَنْ قنع (٣) .

ويضع الشاعر ميزاناً بين الصبر والقناعة فهما اللذان يزيدان الناس رضاً وهدوءاً واستقراراً وسعادةً كما في قوله :-

ما افضلَ الصّبْرَ والقناعةَ للنـاس جميعاً لو أنّهُمْ قنعوا (٤) .

ويرى أنّ الراحة في اليأس والغنى في القناعة إذ يقول :-

إنما الراحةُ المريحةُ في اليأ س من الناس والغنى في القناعهْ (٥) .

ويحدد بالقناعة موقف الفقير وثباته فهو غني على الرغم من حاجته :-

وإذا قنعتَ فأنت أغنى مَنْ مشى إنّ الفقيرَ لكلّ مَنْ لا يقنعُ (٦) .

ويتساءل أبو العتاهية عن وقت انقضاء حاجات الّذي لا يقنع برزقهِ وهو يستنجد بالله المبارك الأعلى:

تباركَ مَنْ لا يملكُ الملكَ غيرُهُ متى تنقضي حاجات مَنْ ليسَ يقنعُ (٧) .

ويرى أن الناسَ إذا رضوا بالكفاف والقليل فأنهم سوف تزداد قناعتهم بالذي رضوا فيـــه لأنّ القناعةَ كنـزٌ دائم يدفعهم نحو السعادة والأمان :-

---

* كذا في الأصل وهو مكسور .

١- الديـــوان ١٤٢ .

٢- الأغاني ١٥ / ١٢٣ ، وينظر طبقات الشعراء لابن المعتز ، ت عبد الستار احمد فراج ٣٦٢

٣- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٢٢٠ .

٤- نفـــــه ٢٣٠ .

٥- نفـــــه ٢٣٣ .

٦- نفـــــه ٢٠٩ .

لو قنع الناسُ بالكفاف إذاً لاتسعوا في الذي به قنعوا (١) .

فالشاعر محمد بن حازم ((بكان ينغمس في اللهو والمجون ، حتى إذا بلغ الخمسين من سنه آلى على نفسه أنْ لا يشرب كأساً ولا يسيرُ في طريق غواية ، وأخذ يكثر من شعر الزهد حاضاً على القناعة)) (٢) .

حيث قال :-

أضْرَع إلى الله لا تضْرَع إلى الناس واقْنَعْ بيأس فأنَ العزّ في اليأسِ
واستغْن عن كل ذي قربى وذي رَحم أنَّ الغنيَّ مَن استغنى عن الناسِ (٣) .

ويرى محمود بن حسن الوراق أن غنى النفس من القناعة كما في قوله : -

غنى النفس يغنيها إذا كنتَ قانعاً وليس بمغنيكَ الكثير من الحرصِ (٤) .

وينقل صورة لأولئك الناس الذين تكون مصارعهم وهاياتهم من الطمع الذي يرسلهم إلى المهالك فكلما ازدادوا طمعاً ازدادوا تعباً وقلقاً وتفكيراً .

وما زلتُ اسمع أنَ النفوسَ مصارعُها بين أيدي الطمعْ (٥) .

ويرى أن القناعة غنى دائماً وما يعطي الحرص إلا الفقر الذي يجعل الغني حريصاً على نفع نفسه والاطمئنان لحياته فيجمع ولا يقنع حتى يتحول إلى نفس فقيرة كما في قوله :-

إنَ القناعة ما علمت غنى والحرصُ يورث ذا الغنى فقرا (٦) .

وقول بشر بن الحارث في القناعة :-

افادتني القناعةُ ايَ عزٍّ ولاعزّ اعزّ من القناعهْ (٥)

١- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٢١٣ .
٢- العصر العباسي الأول ٤٠١ .
٣- العقد الفريد ٣/٢٠٧ وينظر العصر العباسي الأول ٤٠١ .
٤- ديوان الوراق ٨٥ .
٥- نفسه ٩٢ .
٦- نفسه ٨١ .
٧- تاريخ بغداد ٧ / ٧٦ .

٥ – الدّنيا :– لقد ذمّ الشعراء في – غـــرض الزّهـــد – الدّنيا وعابوا عليهـا ... نكباتهـــا وتصغيرها للكبير وتعظيمها للصغير الذي لا يستحق وقد تشاءموا من عدم إنصافهـا وعـدالتها ولم أجـد أحداً منهم يمدحُها ، فهذا عبدالله بن المبارك يرى الدّنيا ذميمة بسبب تصرفات العباد فأنها قد سقت أناسها من نقيع الحنظل المرّ لأنها لا تدوم على حال :–

دنيا تداولها العباد ذميمةٌ شَيَبَتْ بأكره من نقيع الحنظل (١) .

ثم يؤكد أن مصائب الدهر ونكبات الأيام تفاجئ الناس بأعمالها وتغيراتها وقد تقع على المرء بفجائعهـا كوقع الحجارة :–

وبناتُ دهر لا تزالُ ملمّةً فيها فجائعُ مثل وقع الجندل (٢) .

أمّا أبو نواس فيسأل عن جوهر الدّنيا في قوله :–

متّى ترضى من الدّنيا بشـئ إذا لم ترضَ منها بالمـزاج
ألم ترَ جوهر الدّنيا المصفّى ومخرجُهُ من البحر الاجاج (٣) .

ويرى أن النفس تبقى مشغولة بالدّنيا لشدة تفكير صاحبها بطموحاته الكثيرة وآمـاله الّتي لا تنتهي وقد وجد الشاعر أن ليس كلّ مَنْ تمنّى الدّنيا حصل عليها كلّها بل عليه أنْ يكتفي بالقليل ، ولكنها تخدع الناس وكم فيها من اللؤماء الّذين تبقى الدّنيا همهم ومبلغهم فيؤثرون الدّنيا على اخرتهم فكلما نادتهم لبّوا نداءها تقرّباً وطمعاً فيها كما في قوله :–

لا تفرغ النفسُ من شغلٍ بدنياها رأيتها لم ينلها مَـنْ تمنّاها
إنّـا لنفـس في دنيـا مُوَلّيـةٍ ونحنُ قد نكتفي منها بأدناها
أنتَ اللئيمُ الذي لم تعْدِ همّتُـهُ إيثارَ دنيـا إذا نـادتهُ لبّاها (٤) .

ويصف الدّنيا بأنها عروسٌ لا هلها تخدعهم بزخرفتها ويقسم بها الناس الى فريقين :– الأول صاحب قناعة ورضا وعدم مبالاة والثاني يلعب في ملذاتها فيقول :–

ألا إنمَا الدّنيا عروسٌ لاهلها أخو دعَةٍ فيها وآخر لاعبُ (٥) .

---

١ – الورقـــــــة ١٧ .

٢ – نفســـــــه ١٧ .

٣ – زهديات أبي نواس ٩٣ .

٤ – ديوان أبي نواس برواية الصولي ٩٨٨ .

ويخاطب الشافعي مَنْ يتعانق مع الدنيا مساءً صباحاً كأنّه لا يجد غيرها ملتصقاً بها غير مفكر بآخرته ولم يفكر باليوم الآخر وهو يطلب منه بأسلوب تحضيض (هلا تركت) أن تعانق الدنيا ... أنّ في الفردوس نساءً أبكاراً خير ممن تجد في الدنيا وهو يأخذ من القرآن تلك الصورة :-

يا مَنْ يعانق دنيا لا بقاءَ لها ... يمسي ويصبح في دنياه سفّارا
هلاّ تركتَ لذي الدنيا معانقة ... حتّى تعانق في الفردوس أبكارا (١) .

وأما محمد بن كناسة (ت ٢٠٧ هـ) *الذي عدّ من الذين طوروا الزهد ، وكان زهده إسلامياً محضاً وقد أثّر شعره بطابع الوعظ وكان لبيئة الكوفة التي عاش فيها أثر في سلوكه الزهدي وكذلك أسرته وتأثره بخاله ابراهيم بن أدهم الذي كان من دعاة التصوف والزهد في الكوفة .

لم يعد ابن كناسة من المحترفين لشعر الزهد فقد تنوعت موضوعات شعره وكان الرثاء والوصف في مقدمتهما ، وهذان الغرضان يوافقان منهجه في الزهد (٢) .

يقول الدكتور هدارة ((وكان من الواضح أن مجان الكوفة يحاولون إغراءه بالاشتراك في تيار لهوهم ومجونهم ، ولكنه ترفع عن حياتهم واعتصم بقوى أيمانه وأظهر زهده في تلك الحياة الآثمة)) (٣) .

ويقترب مفهوم ذم الدنيا عند محمد بن كناسه من مفهوم أبي العتاهية وهما يقتربان في أنّ الدنيا تغري الإنسان وتخدعه ، وهو يتعجب من الدنيا التي تترك الإنسان للبلاء والموت ويعيش الإنسان فيها طالباً البقاء ولكن ليس الأمر بيده فإنها سوف تتركه يوماً :-

ومن عجَبِ الدّنيا تُبقيك للبلى ... وأنّك فيها للبقاءِ مُريدُ (٤) .

ويرى أن الإنسان المتنوع الزاهد يرى هذه الدنيا وما فيها مصغّرة عندما لا تفكر بطمعها وملذاتها ويقضي همّه أن يعظّم أمر الله وشكر نعمائه :-

---

١- الديوان ٩٢ .

* محمد بن كناسه :- محمد بن عبدالله بن الأعلى المازني بن كناسه - فاضل - له علم بالعربية والشعر وأيام الناس توفي بالكوفة . له كتاب الأنواء ومعاني الشعر وسرقات الكميت من القرآن وغيره ، معجم المؤلفين ، عمر رضا كحاله ، ١٠/٢٢٢ . وينظر الورقة ، ٨٦ .

٢- ينظر التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ٢٣٨ .

٣- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني ٣٠٦ .

٤- محمد بن كناسه حياته وشعره نصوص باقيه من كتاب الأنواء ، محمد قاسم مصطفى ، مجلة

وكان يرى الدّنيا صغيراً كبيرها وكان لأمر الله فيها معظما (١) .

وأنّ الأمر إلى الله في كل شيء فما بيد الإنسان من حيلة إذا لعبت الدّنيا لعبها :-

ويقضي القضى بالأمر مالم يكنْ لهُ من الله في الدّنيا عليه معينُ (٢) .

ينهى أبو العتاهية عن حمد الدّنيا ويطالب بذمّها لأنها ذُمّت من الله وهو خالقها وآمرها وفانيها فكيف يحمدها الإنسان وقد ذمّها الربّ لكثرة مافيها من مشاكل وصراعات وهموم إذ يقول :

فلا تحمد الدّنيا ولكنْ فذمّها وما نالَ شيئ ذ مّهُ اللهُ يُحْمَدُ (٣) .

وحيناً يرى أنّ الدّنيا مفرقة لا ضمير لها ولا يد وقد تقسو على الإنسان ولا بدّ من الصبر على كفافها:

تَبَلّغْ من الدّنيا ونلْ من كفافها ولا تعتقدْها في ضمير ولا يدِ (٤) .

وينفي الخير عن الدّنيا الّتي لا يحصل فيها صاحب البصيرة على حصةٍ :-

لا خيرَ في الدّنيا لذي بصرٍ نَفِدَت لهُ فيها بصائرُهُ (٥) .

ويصف الدّنيا كالظّل الزائل كما قدّرها الله تعالى :-

إنما الدّنيا كظلٍ زائلٍ احمد الله كذا قدّرها (٦) .

ويخاطب الشاعر من صدقَ الدّنيا ووثقَ بها واطمأنّ أليها ولكن سرعان ما يجد نفسه خائفاً منها مغروراً بها مروعاً فيها فلماذا يثق بها والتغير فيها من حال إلى حال والتقلب معها كالذي يجمع المال يتبعها ويميل معها حرصاً على المال دون التفكير بالأعمال والآخرة إذ يقول :-

رأيتُك في الدّنيا على ثقةٍ بها وأنكَ في الدّنيا لأنت المروّعُ
تقلّبتَ في الدّنيا تقلبَ أهلها وذو المال فيها حيثما مال يتبعُ (٧) .

١- محمد بن كناسة حياته وشعره ، نصوص باقية من كتاب الأنواء ، ٣١٦ .
٢- نفسه ٣١٨ .
٣- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ١٠٩ .
٤- نفسه ١١٦ .
٥- نفسه ١٧٩ .
٦- نفسه ١٨٤ .
٧- نفسه ٢١٢ .

ويتساءل عن بقاء الدّنيا وثباتها وهي صاحبة ساعات مؤلمة :-

ما بقاء الدّنيا وساعاتُها تحْـ ... فيزها بالحوادثِ الفجّاعهْ (١) .

ويتحسّر على الدّنيا الّتي لا يراها مستقرّاً قائما راحته النهائية في دار الآخرة فالدّنيا غرورٌ كلّها تخدعُ أناسها وتأخذهم بمباهجها كما يلمع بريق في صحراء :-

إنما الدّنيا غرورٌ كُلّها ... مثلَ لمع الآلِ في الأرض القفارْ (٢) .

وفي ذم الدّنيا والحرص عليها يحذّر محمود الوراق من الاهتمام والأغراء بها فإنّها تخدع وتغري وتأخذ الناس بزيفها فإن الإنسان يستطيع أنْ يكتفي بالقليل منها ولكنه متمسك بالكثير لأنّهُ يرى غيره هكذا فيسير على خطاه كما في قوله :-

هي الدّنيا فلا يغررك منها ... مخايل تستفز ذوي العقولِ

اقلّ قليلها يكفيك منها ... ولكن لست تقنع بالقليلِ (٣) .

ويرى عدم إلقاء اللوم على الدّنيا الغادرة بل على الإنسان نفسه لأنّهُ عاشها وعرف أهلها وعرف مساوئها فلماذا يزج نفسه بعدما عرف كل ذلك ثم يلقي اللوم عليها : -

لا ترجعن على الدّنيا بلائمة ... فعذرها لك بادٍ في مساويها (٤) .

وهكذا أظن أنني قد استوفيتُ أهم موضوعات شعر الزّهد في القرن الثاني الهجري وقد تركتُ الكثير من الموضوعات الّتي وردت عند بعضهم مثل التقوى والحرص ، ووجدتُ أن تلك الموضوعات الّتي ذكرتها قد كانت شاملة بينهم وهي تحمل المعاني والدلالات نفسها .

١- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٢٣٣ .

٢- نفسه ١٥٥ .

٣- ديوان الوراق ١١٠ .

٤- نفسه ق ١٩٣ (المنسوب اليه) .

الفصل الثاني

اللّغة الشعرية

اللغة الشعرية

لا يختلف اثنان في أن اللغة من العناصر المهمّة للتعرف على خصوبة التعبير اللغوي عند الشاعر ، وهي تقوم على ((الإيحاء التأثير وان الشاعر يختار في عمله الشعري الكلمات ذات الأثر الفني لتنقل المستمع أو القارئ إلى الأجواء التي يعيشها هو)) (١) .

وتتميز اللغة بطابع العمق في التجربة ((والشاعر في حاجة إلى عمق التجربة اكثر من حاجته إلى التفصيل وكلما قلت تفصيلات الصورة والحالة الشعرية زاد تأثيرها المباشر فكثرة التفصيلات لا تترك محلا للإيحاء الذي تتمتع به لغة الشاعر)) (٢) .

ومادام الشعر ((تنظيماً جمالياً واعياً للغة)) (٣) .

وانّ الخطاب الشعري ((يُعدّ لوناً كلامياً متميزاً)) (٤) .

فالشاعر يعرف تأثير قوله في اللغة الّتي يستخدمها لذا تتبوأ اللغة مكانة مهمة في التجربة الشعرية ، واللغة مادة الأدب وأداته الرئيسة ، وكلما كان الشاعر ممتلكاً لمفردات لغته ودقّة معانيها كان شعره مترابطاً مؤثراً يصل إلى المتلقي بسرعة والرُهد ذلك الغرض الّذي تميّز به شعراء القرن الثاني الهجري وهم يجمعون بين الموهبة المتدفّقة والمنافسة في الإبداع وهم أصحاب النشاط الإبداعي المتميّز بموضوعاته الّتي ظلّت خالدة طول القرون دون أن تتعرض للاندثار

---

١ – لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، جمال نجم العبيدي ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ١٩٨٢ / ١٧ .

٢ – الأسس الجمالية في النقد الأدبي ، د . عز الدين إسماعيل ٣٥٣ .

٣ – مقالة في النقد ، غراهام هو . ترجمة محيي الدين صبحي ١٢٧ .

٤ – الدلالة الوظيفية في بنية الجملة الشعرية ، عامر عبد السعد ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ١٩٩١ / ٢ .

٢- الأساليب في شعر الزُّهد :- يأتي الأسلوب باعتباره ((عنصراً من عناصر تميز الخطاب)) (١) وكما أشار الدكتور المسدي ((العنصر الخلاق للغة والذي يعتبر خاصة من خواص الفرد ويعكس أصالة الأسلوب هو الرجل)) (٢).

وتأتي الأساليب عاكسة لانفعال الشعراء وإيضاح مواقفهم لأنّ الشاعر الزاهد يميل إلى القناعة والرضا والتأمل . فالأسلوب مهم ولابد من كلمة عن أسلوب كل واحد من الشعراء الذين كتبوا في غرض الزهد وهذا لا يعني أن أسلوب كل شاعر لابد أن يتطابق بالضرورة مع أسلوب أقرانه فهناك فروق يكشف عنها البحث من خلال مفهومي الإنشاء والخبر لأنّ الأول لايمكن أن يوصف قائله بالصدق أو الكذب أما الثاني فيتصف قائله أما بالصدق أو الكذب .

ومن الأساليب الإنشائية التي تشيع في شعر الزُّهد في القرن الثاني الهجري :-

---

١- الأسلوبية والأسلوب ، بيرجيرو ترجمة منذر عياش ٩٤ .

٢- الأسلوب والأسلوبية ، د . عبد السلام المسدي ٩٢ .

الأساليب الطلبية وتشمل :-

ـ **الاستفهام** :- فالاستفهام ينطوي على معانٍ كبيرة واسعة ، وقد كثر استخدام الاستفهام في لغة الزهد في القرن الثاني الهجري مع تنوع أدوات الاستفهام .

مثال ذلك قول الشاعر أبي نواس :-

متى ترْضَى من الدنْيا بشئ إذا لم ترْضَ منها بالمزاج (١) .

يريد الإخبار عن عدم رضى الإنسان بشئ منها لأنه مازال غير مقتنع بما يمتلك .

وقوله أيضاً مستغرباً من الإنسان الذي لا يترك الملذات ويسعى إليها وتزل قدمه في السير إليها ولم يعلم بأنّ حسابها عسير جداً :-

حتّى متى لا ترعوي عن لذّةٍ وحسابُها يومَ الحسابِ شديدُ (٢) .

وكذلك يستخدم الشافعي الاستفهام مخبراً عن حالة يتعرض لها الجميع حين قال :-

فوالله لا ادري أللفوز والغنى ؟ أساق إليها أم أساق إلى القبر؟ (٣) .

فقد استخدم الهمزة متسائلاً عن حالتين مختلفتين هما الفوز والغنى ثم القبر الحالة الثانية التي يتساءل عنها .

وفي قوله :-

أأنعم عيشاً بعد ما حل عارضي طلائعُ شيب ليس يغني خضابُها ؟ (٤) .

فهو يستخدم همزة الاستفهام مطلع البيت وهو يبدو استفهاماً حقيقياً ولكنه يخرج بدلالة الأخبار حيث يريد أن يقول كيف ينعم عيش امرء حل بعارضه الشيب .

أما الشاعر محمد بن كناسة فقد استخدم الاستفهام متسائلاً عن الذي يقي النفوس من الحوادث والمفاجآت ولكن هيهات فما أحد باقٍ والمنية تلتف حول عنقه :-

---

١ – الديوان ت الغزالي ٦١٠ .

٢ – زهديات أبي نواس ٦٥ .

٣ – الديوان ٩ .

٤ – نفسه ٣٠ .

هل للنفوس من الحوادث واقٍ ؟ أنّى ؟ وليس على المنية باقٍ (١) .

فالشاعر استخدم حرف الاستفهام (هل) في بداية البيت والأداة (أنى) في مقدمة العجز والاستفهام هنا للنفي أي ما للنفوس من الحوادث وهي عدم بقاء النفوس التي لايقيها ويحفظها من الموت أي شيء .

أما الشاعر أبو العتاهية فقد قال متسائلاً متى يقنع المرء الذي يلح في طلب الحاجات فما حصل على الأولى حتى طلب الثانية وهل يتوقف يوماً عن هذا الطلب غير النافع :-

متى تَنْقَضي حاجاتُ مَنْ ليس واصلاً إلى حاجةٍ حتى تكون لهُ أخرى (٢) .

فقد وردت في البيت الأداة (متى) وهي من أدوات الاستفهام والاستفهام كما نعلم أسلوب إنشائي لكن أراد أن يتحدث عن حالة يائسة في نفسه فقال مستغرباً متسائلاً متى سيحين قضاء حاجات الناس التي لم تحصل على الأولى وتنظر بعين الجشع إلى الثانية .

وقوله أيضا :-

أين الألى بنوا الحصونَ وجنّدوا فيها الجنودَ تَعَزُّزاً أين الألى (٣) .

فانّ أداة الاستفهام (أين) وردت مكررة لان الشاعر يشير إلى شيء ربما تجهله الناس ويريد التأكيد عليه فاين القوم السابقون الذين شيّدوا الحصون وجندوا الجيوش ماذا فعل بهم الزمن أبقوا أحياء أم رحلوا وتركوا كل شيء وراءهم ؟

وقوله مخاطباً الذي يعيش مسروراً بشبابه ونفسه مغروراً بما وصل اليه وهو يعيش داخل ظلام الموت الذي يحوطه وسوف يقيّده يوماً فما جدوى السرور وغلو النفس وكبريائها :-

يامَنْ يُسَرّ بنفسهِ وشبابهِ أنّى سررتَ وأنت في خُلَس الرَّدى (٤) .

فقد وردت في البيت أداة الاستفهام (أنى) للتعجب .

وفي قول آخر يريد الشاعر من الاستفهام الذي يخرج إلى النصح مستغرباً من الإنسان الذي يصدق الدنيا وهي توقد نيران حربها بين الناس ولم يخلص من شرورها أحد :-

---

١ – محمد بن كناسة حياته وشعره ، نصوص باقية من كتاب الأنواء ٣١٢ .

٢ – أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٧ .

٣ – نفسه ١٤ .

٤ – نفسه ١٧ .

ألم ترَ ، إنّما الدّنيا حُطامٌ تَوقّدُ بيننا فيها الحروبُ (١) .

وقوله وهو يجمع بين الاستفهام (الستَ) والاستعارة (وجهَ نائبةٍ)

ألستَ تراكَ كلَّ صباح يوم ثُقابِلُ وجهَ نائبةٍ تَنوبُ (٢) .

فالشاعر يخرج بالاستفهام متسائلاً عن ذلك المرء الغارق في أحلامه وهو يفتح عينيه كلّ صباح جديد فيجد نفسهُ محاطاً بمشكلة ونائبة من حوادث الدّنيا .

وقول محمد بن حازم الباهلي في استخدام الاستفهام :

كم إلى كم أنت للحر ص وللآمال عبدُ (٣) .

وقد جاء أسلوب الوراق ((بلغة سهلة واضحة شأنهُ في ذلك شأن شعراء الزُهد والوعظ الآخرين لأنهم يستعملون الألفاظ التي تصل إلى النفس مباشرة متحرّين السهولة والوضوح)) . (٤) .

ويقول مستخدماً همزة الاستفهام :-

أتفرح أن ترى حسن الخضاب وقد واريت بعضك بالتراب (٥) .

---

١ – أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٢٣ .

٢ – نفسه ٢٢ .

٣ – ديوان محمد بن حازم الباهلي ٢١٢ .

٤ – محمود الوراق حياته وشعره ٧٥ .

٥ – الديوان ٤٢ .

ـ **النداء** :- من الأساليب الإنشائية التي اتخذهـــا الشعراء مدخلاً لوعظهـــم ومنهم الشاعر أبو نواس فانـــه يجمـــع أسلوبين إنشائيين هما الاستفهام والنداء مستغرباً من أصحاب الذنوب الذين لا يخشون عقاب الدنيا ثم الاخرة :-

يا راكب الذنب قد شابتْ مفارقهُ أما تخافُ من الأيام عقباها (١) .

و يخاطب الشاعر نفســه ينصحها أنْ تخشى الله وتأمل وتسعى للآخرة سعي المجتهد وليس الغافل عن آخرته مشغولاً في همّ الدنيا فبالخوف من الله تكون النفس مطمئنة لا تقترب إلى المزالق :-

يانفسُ خافي الله واتئدي واسعي لنفسك سَعْيَ مُجتهدِ (٢) .

ويخاطب من يطلب الدّنيا وملذاتها أنه قد جمحتْ به الآمال وغرّته الطموحات فعليه أن يكون مقتصداً مفكراً باخرته مثلما يشغل فكره بالدنيا ويهيم ويجاهد من اجلها وهي زائلة :-

يا طالب الدنيا ليجْمَعَها جَمَحتْ بك الآمال فاقتصدِ (٣) .

وقد ظهر في البيت نداء (يا طالب)

ويخاطب الشافعي في أسلوب النداء الذي يعظ الناس وينسى نفسه :-

يا واعظ الناس عمّا أنت فاعله يا من يعدّ عليه العمر بالنفس (٤) .

أما الشاعر أبو العتاهية فيستخدم النداء أسلوباً للتذكير بالآخرة إذ قال :-

يا ساكنَ الدّنيا لقدْ أوطنْتها وَامِنْتها عجباً وكيْفَ أمِنْتها (٥) .

وقد كرر في مقطوعته المتكونة من تسعة أبيات نداءه ثلاث مرات (يا ساكن الدنيا) .

وقال أيضاً واعظاً أخاه الإنسان الذي غرته الدنيا :-

يَا أخي ما أغرّنا بالمَنايَا في اتّخاذِ الأثاثِ بَعْدَ الأثاثِ (٦) .

وقال مخاطباً الإنســـان الذي يعيش الحياة ميّت الشعور ومنقلب الإرادة ومتغير الحال بأنهُ يعيش الأماني ويكد عمره بالهمّ والنكد ولو اتجه إلى الزّهد لرأى الحال أفضل من ذلك :-

---

١- الديوان ت . الغزالي ٦١٣ .

٢- زهديات أبي نـــواس ٤٢ .

٣- نفســـــــه ٤٢ .

٤- الديـــوان ١٠٨ .

٥- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٨٧ .

يا أيُّها الحيُّ الذي هو ميّتٌ أفنيت عُمْرك بالتعلّل والمُنى (١).

أما الشاعر محمود الوراق فقد جاءت لغته تقريرية كما في قوله يرسم صورة للذي يرى من الحياة نظرة أمل بأنها نظرة ميّت غائب لا يعرف حقيقتها وقد يظن أنّه مشاهد لما يحصل في هذه الحياة من مواقف وهو في الحقيقة لا يعرف منها إلا القليل اليسير بأسلوب النداء :-

يا ناظراً يرنو بعيني راقدٍ ومشاهداً للأمر غيرَ مشاهدِ (٢).

وقوله أيضاً في النداء ناهياً عن عيب الفقر :-

ياعائب الفقر ألا تزدجر عيب الغنى اكبر لو تعتبرْ (٣).

وكذلك يستخدم النداء مخاطباً الشيخ الكبير :-

يا أيّها الشيخ المعلل نفسه والشيب شامل (٤).

ومن خلال هذا الأسلوب الإنشائي أجد الشعراء متفاوتين فيه ، فأبو العتاهية يكثر منه ويكرره في قصائده الطويلة أما أبو نواس فقد يأتي بالنداء قليلاً والشعراء الآخرون يأتي النداء في مطلع قصائدهم مثل الشافعي ومحمود بن حسن الوراق وقد لا يستخدم بعضهم النداء أسلوباً مثل محمد بن حازم الباهلي .

١- أبو العتاهية أخباره وأشعاره ١٣ .

٢- الديـــــوان ٦١ .

٣- نفســـــه ٦٧ .

٤- نفســـــه ١١٤ .

ـ **الأمر**:- ومن الأساليب التي لها نصيب في لغة الزهد في القرن الثاني الهجري أسلوب الأمر وقد استخدمه الشعراء كثيراً كقول أبي نواس واعظاً الناس بالصبر :-

اصبرْ لمرِّ حوادثِ الدّهرِ فلَتَحْمَدَنَّ مغبَّةَ الصَّبْرِ (١) .

وقوله أيضا مطالباً أن تكون نهاية الإنسان الصمت النافع وليس الكلام غير النافع فما جدوى الكلام الذي يرسل صاحبه إلى الخطأ ويلقيه في المصائب :-

مُتْ بداءِ الصَّمْتِ خيرٌ لك من داءِ الكلامِ (٢) .

وفي الأمر يطلب الشاعر من الذي يرى داره قريبة منه وتحت متناول يده قائلاً بأنّ المنزل الذي سيرحل إليه هو القبر الذي سيكون سحيقاً وبعيداً :-

فقل لِقَريب الدار إنك راحلٌ إلى منزلٍ نائي المحلِّ سحيقِ (٣).

وقال الشافعي في أسلوب الأمر ناصحاً الناس لحفظ شيبهم من أي دنس فان البياض دليل العفة :-

احفظ لشيبك من عيب يدنسه أن البياض قليل الحمل للدنسِ (٤) .

و قال أبو العتاهية في أسلوب الأمر مخاطباً المغرورين بالدنيا قائلاً لهم أن كل الولادات للموت وكل البناء للخراب فيجب ترك الزواج وترك البناء :-

لِدُوا للموتِ وابنوا للخرابِ فكُلكُمُ يصيرُ إلى ذهابِ (٥) .

وفي قولٍ آخر يطلب الشاعر من المرء أن يخاف الله وينتعد عن الزهو والفخر بنفسه فانّ الحساب للخاطئين يوم القيامة عسيرٌ شديد :-

فَخَفِ الله واترُك الزهوَ واذكُرْ موقفَ الخاطئينَ يوم الحسابِ (٦) .

١- الديوان ت الغزالي ٦٠٩ .

٢- الديوان برواية الصولي ٩٨٥ .

٣- نفسه ٩٨٣ .

٤- الديوان ١٠٨ .

٥- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٣٣ .

٦- نفسه ٤٣ .

ويستخدم محمد بن حازم الباهلي أسلوب الأمر قليلاً كما في قوله ناصحاً :-

هوّن عليكَ فكُل الأمر ينقطعُ وخلِّ عنكَ عنانَ الهمّ يندفعُ (١) .

وحين ينصح بأخذ القليل من العيش والقناعة يقول في أسلوب الأمر :-

خُذ من العيشِ ما كفى ومن الدهرِ ماصفا (٢) .

ويستخدم محمود الوراق أسلوب الأمر إذ يقول :-

تمتع بما لك قبل الممات وألا فلا مال أن أنت متا (٣) .

ويحذر من الموت الفاجئ مستخدماً فعل الأمر (اغتنم) :-

أغتنم غفلة المنية واعلم إنما الشيب للمنية جسرُ (٤) .

ويستخدم الأمر في موضع آخر كما في قوله :-

قدّم لنفسك توبة مرجوة قبل الممات وقبل حبس الألسنِ (٥) .

وهكذا فالوراق يكثر من أسلوب الأمر دون أن يقع في المباشرة والتقرير .

١- ديوان محمد بن حازم الباهلي ٢٠٥ .

٢- نفسه ٢٠٦ .

٣- الديوان ٥١ .

٤- نفسه ٦٧ .

٥- نفسه ١٢٩ .

ـــ **النهي :-** وهو من الأساليب الإنشائية التي استخدمها الشعراء وقد جاء هذا الأسلوب عند الشاعر صالح بن عبد القدوس حيث يوصي وينهي عن الحرص الزائد الذي لا يزيد الرزق شيئاً بل يزيد صاحبه شقاءً أو تعباً حتى يشغل فكره وجسده بجمع المال الذي سيذهب منه يوماً وقد يتركه لغير ويرحل عنه

لاتحرصنْ فالحرصُ ليس بزائدٍ ... في الرزق بل يشقى الحريصُ ويتعبُ (١) .

وقال أبو نواس ناهياً عن غفلة المرء وحسبانه عدم علم الله :-

ولاتحسبنّ الله يغفلُ ساعةً ... ولا أن مايخفى عليكَ يغيبُ (٢) .

وعند أبي العتاهية جاء النهي كثيراً ففي عدم تسيير الأمور قال :-

ولاتحسبِ الحالاتِ تبقى لأهلها ... فقد تستقيم الحالُ طوراً وتعوجُ (٣) .

وحين ينصح بعدم الفرح لأي شيء يكسبه الإنسان فسر عان مايتغير الحال يقول :-

ـــ **النهي :-** وهو من الأساليب الإنشائية التي استخدمها الشعراء وقد جاء هذا الأسلوب عند الشاعر صالح بن عبد القدوس حيث يوصي وينهي عن الحرص الزائد الذي لا يزيد الرزق شيئاً بل يزيد صاحبه شقاءً أو تعباً حتى يشغل فكره وجسده بجمع المال الذي سيذهب منه يوماً وقد يتركه لغير ويرحل عنه

لاتحرصن فالحرصُ ليس بزائدٍ في الرزق بل يشقى الحريصُ ويتعبُ (١) .

وقال أبو نواس ناهياً عن غفلة المرء وحسبانه عدم علم الله :-

ولاتحسبنَّ الله يغفلُ ساعة ولا أن مايخفى عليكَ يغيبُ (٢) .

وعند أبي العتاهية جاء النهي كثيراً ففي عدم تسيير الأمور قال :-

ولاتحسبِ الحالاتِ تبقى لأهلها فقد تستقيم الحالُ طوراً وتعوجُ (٣) .

وحين ينصح بعدم الفرح لأي شيء يكسبه الإنسان فسر عان مايتغير الحال يقول :-

لا تفرحَنَّ بما ظفرتَ به وإذا ثكبتَ فاظهر الجلدا (٤) .

وجاء النهي عند الشاعر محمد بن حازم الباهلي مؤكداً فيه على الحرص الذي يحبه الإنسان وأن المقادير بيد الله قائلاً :-

فلا تحرصنَّ ، فانَّ الأمور بكفِّ الإلهِ مقاديرُها (٥) .

وينهى عن الفرح وعدم اليأس بعد حدوث الأمر الصعب :-

فلا تفرح بأمرٍ قد تولى ولاتيأس من الأمر السحيق (٦) .

١- الديوان ١٢٦ .

٢- الديوان ت الغزالي ٦١٥ .

٣- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٩٣ .

٤- نفسه ١١٨ .

٥- ديوان محمد بن حازم الباهلي ٢٠٣ .

٦- نفسه ٢٠٦ .

وقد اكثر الوراق من أسلوب النهي مستخدماً لا الناهية محذراً من الشخص الذي يحمد الحريص صاحب السعة في المال ويجب النظر إليه بعين المقت والكره لانه لم يفهم ما دواعي حرصه ...

فانه مشغول بهذا الشقاء عن السرور الحقيقي وهو راحة البال وعدم التفكير بجمع المال :-

لا تحمدنّ أخا حرص على سعةٍ وانظر إليه بعين الماقت القالي
ان الحريص لمشغول بشقوته عن السرور بما يحوي من المالِ (١).

وقوله ناهياً الإنسان عن تصديق الزمان والاقتناع بما يقدم اليه فانه يخدعه ويغره ويريد أن يأخذه بيديه إلى المزالق :-

ولا يخدعنّكَ صرف الزمان فان الزمانَ كثير الخدعْ (٢).

وقوله ناهياً عن لوم الدنيا وذمها والقاء الأسباب عليها ، والإنسان يعلم حقيقتها وماذا تفعل بأناسها فهي تعاقبهم وتفرقهم وفوق ذلك تراهم يصدقونها :-

لا ترجعن على الدنيا بلائمة فعذرها لك بادٍ في مساويها (٣).

١- الديوان ١٠١ - ١٠٢ .

٢- نفسه ٩٢ .

٣- نفسه ق ١٩٣ (المنسوب إليه) .

ب ـ **الأساليب غير الطلبية** :ـ ومن أهمها :ـ

- **القسم** :ـ وهو من الأساليب غير الطلبية التي شاعت في لغة الزهد في القرن الثاني الهجري إذ قال الشافعي في القسم :ـ

فوالله لا ادري اللفوز والغنى أساق إليها أم أساق إلى القبر ؟ (١) .

وقال أبو العتاهية في القسم :ـ

لعمرُكَ ما الدّنيا بدار بقاءٍ كفاكَ بدار الموتِ دار فناءِ (٢) .

وقال الوراق في القسم :ـ

لعمرك ما بالعقل يكتسب الغنى ولا باكتساب المال يكتسب العقل (٣) .

وقال أيضاً في القسم

لعمرك ما شيء لوجهك قيمة فلا تلقَ انساناً بوجه ذليل (٤) .

- **التعجب** :ـ ومن الأساليب التي لها نصيب في لغة الزُّهد في القرن الثاني الهجري أسلوب التعجب فقد قال ابو نواس متعجباً من صاحبه :ـ

لله درّ الشيبِ من واعظٍ وناصح لو قبلَ النّاصحُ (٥) .

وقال أيضاً:ـ

سُبْحانَ علام الغيوبِ عجباً لتصريفِ الخطوبِ (٦) .

ويتعجب الشافعي قائلاً في صيغة الاستفهام :ـ

كم ضاحك والمنايا فوق هامته لو كان يعلم غيبا مات من كمد (٧) .

١ـ الديـــــوان ١٠٣

٢ـ أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٢

٣ـ الديـــــوان ١١٠ .

٤ـ نفســـــه ١٠٢ .

٥ـ الديوان برواية الصولي ٩٧٨ .

٦ـ نفســـه ت الغزالي ٦١٦ .

٧ـ الديـــــوان ٣٥ .

ويتعجب الشاعر محمد بن كناسة قائلاً :-

ومن عجب الدنيا تبقيك للبلى وأنك فيها للبقاء مُريدُ (١) .

وقال أبو العتاهية في التعجب :-

سُبْحانَ مَنْ أعطاكَ من سعةٍ سُبْحانَ مَنْ أعطاكَ ما أعْطى (٢) .

وقال يتعجب من الذي يلهو في هذه الدنيا :-

عَجِبْتُ لذي لعبٍ قدْ لها عَجِبْتُ وَما لي لا أعْجَبُ (٣) .

وقال باستخدام أداة التعجب ما :-

ما أفضَلَ الصَّبْرَ والقناعَةَ للنّاس جَميعاً لوْ أنّهُمْ قنِعوا (٤) .

ويستخدم محمد بن حازم الباهلي التعجب بصيغة الاستفهام :-

فكيفَ أبتاعُ فقراً حاضراً بغنى وكيف أطلبُ حاجاتي من الناس (٥) .

وقال الوراق في التعجب مستخدماً صيغة الاستفهام :-

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وان طالت الأيام واتصل العمر (٦) .

ويستخدم اسم التعجب قائلاً :-

أما عجب أن يكفل الناس بعضهم ببعض فيرضى بالكفيل المطالب (٧) .

---

١ - محمد بن كناسة الاسدي حياته ، شعره ، نصوص باقية من كتابة : الانواء ٣٠٨ .

٢ - أبو العتاهية أشعاره وأخباره ١١ .

٣ - نفسه ٣٨ .

٤ - نفسه ٢٣٠ .

٥ - ديوان محمد بن حازم الباهلي ٢٠٤ .

٦ - الديوان ٦٤ .

٧ - نفسه ٤١ .

ج ـ **الأساليب الخبرية** :- ومن الأساليب البلاغية في شعر الزهد في القرن الثاني الهجري إسلوب الخبر وهو على ثلاثة أنواع **الابتدائي والطلبي والانكاري** ، فالشاعر غالباً ما يفتح الخطاب بأحد الأساليب الإنشائية ومن ثم يعمد إلى أسلوب الخبر .

ومن الشعراء الذين عمدوا إلى الخبر **الابتدائي** الشاعر أبو نواس إذ قال :-

متى ترْضَى من الدّنْيا بشيء إذا لم ترْضَ منها بالمزاج (١) .

فان المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر وان تركيب البيت في غرض الزهد يتناسب مع القاء الخبر إلى المخاطب .

وقد استخدم الشافعي هذا الضرب من الخبر كما في قوله :-

الدهر يومان ذا امن وذا خطر والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر (٢) .

وقال الشاعر محمد بن كناسة في الخبر الابتدائي :-

معاشي دوين القوت ، والعرض وافرٌ وبطنَي عن جدوى اللئام خميص (٣) .

فالخبر الابتدائي في عجز البيت .

وقول الشاعر أبو العتاهية في هذا الخبر :-

ياذا الذّي اتّخذَ الزّمانَ مطيّةً وخطا الزّمان كثيرةُ العثراتِ (٤) .

الخبر الابتدائي في عجز البيت لان المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر .

ويستخدم الشاعر محمد بن حازم الباهلي هذا الضرب من الخبر كما في قوله :-

أشدّ من فاقةٍ وجوع إغضاءُ حرٍ على خضوع (٥) .

وفي العجز أجد الخبر الابتدائي لان المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر .

وقول الشاعر محمود بن حسن الوراق في الخبر الابتدائي :-

---

١ – الديوان الغزالي ٦١٠ .

٢ – الديـــــوان ٩٨ .

٣ – محمد بن كناسة ، حياته ، شعره ، نصوص باقية من كتابة : الأنواء ٣١ .

٤ – أبو العتاهيـــة أشعاره وأخباره ٥٧ .

٥ – ديوان محمد بن حازم الباهلي ٢٠٥ .

فاجاك من وفد المشيب نذير والدهر من أخلاقه التغيير (١) .

فالخبر الابتدائي في عجز البيت والمخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر .

ومن الأخبار التي لها نصيب في لغة الزهد في القرن الثاني الهجري الخبر الطلبي إذ قال الشاعر أبو نواس في الخبر الطلبي :-

فقل لقريب الدار إنك راحلٌ إلى منزل داني المحل سحيق (٢) .

ويظهر التأكيد في (انك) بالأداة أن لوحدها .

ويقول الشاعر محمد بن كناسة الاسدي في الخبر الطلبي :-

إذا اعتادتِ النفسُ الرّضاعَ من الهوى فإنّ فطامَ النفس عنه شديد (٣) .

ويظهر المؤكد هنا في البيت (انّ) .

واستخدم الشاعر أبو العتاهية هذا الضرب من الخبر كما في قوله :-

إنّ القريرَة عَيْنُهُ عَبْدُ خَشِيَ الإلهَ وعيْشُهُ قصْدُ (٤) .

فالتوكيد (بإنّ) .

وقول الشاعر محمد بن حازم الباهلي في الخبر الطلبي المؤكد بأداة :-

فلا تحرصنّ ، فإنّ الأمورَ بكفّ الإله مقاديرُها (٥) .

وقول الشاعر محمود بن حسن الوراق في الخبر الطلبي المؤكد بأداة واحدة :-

وقالوا ادخر ما خزته وجمعته لعقبك إن الحزم أدنى من الرشد (٦) .

وقد أكّد الخبر بـ (إنّ) في عجز البيت .

ومن الأخبار التي شاعت أيضاً في لغة الزهد في القرن الثاني الهجري الخبر الإنكاري ويتضح هذا في قول أبي نواس : -

---

١- الديوان ٦٩ .

٢- الديوان برواية الصولي ٩٨٣ .

٣- محمد بن كناسة ، حياته ، شعره ، نصوص باقية من كتابة : الأنواء ٣٠٨ .

٤- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ١١٤ .

٥- ديوان محمد بن حازم الباهلي ٢٠٣ .

٦- الديوان ٥٦ .

فاني قد شَبِعْتُ من المعاصي ومن إدمانها وشَبِعْنَ مني (١).

ويظهر المؤكدّ (أن وقد) حرفا التوكيد في البيت وهذا في الخبر الإنكاري .

واستخدم الشافعي الخبر الإنكاري :-

اني أعزيك لا أني على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين (٢).

وقد جاء التوكيد مكرراً (أني) .

ويقول الشاعر محمد بن كناسة في الخبر الإنكاري :-

يقولون : لو غمضتَ لازددتَ رفعة فقلتُ لهم : إني إذن ، لحريص ! (٣).

والمؤكد إن أي دلالة الابتداء في الحريص .

أما الشاعر أبو العتاهية فقد قال :-

سُبْحانَ مَنْ ليسَ منْ شَيْءٍ يُعادلُهُ إنَّ الحَريصَ على الدُّنيا لفي تَعَبِ (٤).

فقد استعمل زيادة المؤكد في أن ولام الابتداء الداخلة على حرف الجر .

ويقول محمد بن حازم الباهلي في الخبر الإنكاري المؤكد بأكثر من مؤكد :-

وإن قالَ بعضُ الناس فيه سماجة فقد صدقوا ، والذلّ بالحرّ أسمجُ (٥).

ويقول محمود بن حسن الوراق في الخبر الإنكاري المؤكد بأكثر من مؤكد

فاما كريم صنت بالجود عرضه واما لئيم صنت عن لؤمه عرضي (٦).

فقد كرر (أما) مرتين للخبر الإنكاري .

١- الديوان برواية الصولي ٩٨٦ .

٢- الديـــــوان ١٧٨ .

٣- محمد بن كناسة ، حياته ، شعره ، نصوص باقية من كتابة : الأنواء ٣١١ .

٣- أبو العتاهيـــة أشعاره وأخباره ٣١ .

٥- ديوان محمد بن حازم الباهلي ٢١٢ .

٦- الديـــــوان ٨٨ .

٢ –البناء الفني لقصيدة الزُّهد :– قبل الدخول إلى الأساليب الّتي اتبعها الشعراء في قصيدة الزُّهد لابد أنّ اعرّج على البناء الفني لقصيدة الزُّهد حيث أن الشعراء قبلهم سلكوا طريقتين في قصائدهم :–

الأولى :– استهلالها بالوقوف على الأطلال ثم الانتقال إلى الغرض الذي يريدهُ الشاعر (١) .

والثانية :– انهم يتركون المقدمات وهذا يأتي في ((الأشعار التي ينحو بها أصحابها منحى الخطب ويفترضون أنّ السامع مقبل عليهم غير مخشي الانصراف على أية حال واكثر ما يقع هذا في أبواب الوصايا)) (٢) .

((وقد اشتهرتْ قصيدة الزُّهد بهذا النوع من الشعر الذي كان نوعاً من التجديد طرأ على القصيدة العربية في العصر العباسي)) (٣) .

إذ أبدل الشعراء الوقوف على الأطلال والابتداء بالموضوع مباشرةً لإيصال معانيهم إلى السامع أو القارئ بالوعظ والدعوة إلى القناعة والتذكير بالموت ...

فالشاعر أبو نواس في مطلع مقطوعته :–

الموتُ منّا قريبٌ وليْسَ عنّا بنازحْ (٤) .

قد ابتدأ مقطوعته المكونة من ثمانية أبيات بالغرض الذي يريده وهو قرب الموت وعدم ذهابه عن الإنسان

وكذلك أبو العتاهية يبدأ قصيدته مباشرة :–

الخَيْرُ والشَّرُّ عاداتٌ وأهْواءُ وقَدْ يكونُ منَ الأحْبابِ أعْداءْ (٥) .

فلا مقدمة طللية إنما الدخول للغرض مباشرة .

وكذلك الشاعر محمد بن حازم الباهلي وهو يمدح الشباب ويذم الشيب يبدأ قصيدته قائلاً :–

لا حينَ صبرٍ ، فخلِّ الدمع ينهملُ فقدُ الشبابِ بيومِ المرءِ متصلُ (٦) .

---

١ – ينظر المرشد إلى فهم أشعار العرب ، ٣/٨٦٩ .

٢ – نفســـــــــــه ٣/٨٦٩ .

٣ – محمود الوراق حياته وشعره ، سوسن صائب المعاضيدي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ١٩٩٠ ص ٦٩.

٤ – الديوان ت . الغزالـــي ، ١٦٤ .

٥ – أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ١ .

٦ – ديوان محمد بن حازم الباهلي ٢٠٦ .

ويدخل الشاعر محمود الوراق إلى الموضوع الذي يريد ذكره مباشرة دون التقديم له بافتتاحية كما في قوله :-

أتفرح أن ترى حسن الخضاب وقد واريت بعضك بالترابِ (١) .

وهكذا كان الشعراء في غرض الزُّهد متفقين بتقديم الغرض مباشرة دون مقدمات كما اعتادت عليه القصيدة العربية في القرن السابق ولكن لا يعني هذا عدم وجود وحدة موضوعية في القصيدة فلا تأتي الإشارة إلى الزهد منفصلة عن غيرها فلا بد من اتصال أجزاء القصيدة بعضها .

وقد وجدتُ أن انتقال الشعراء إلى الغرض مباشرة في قصائدهم كان موقفاً يشعر القارئ بمقدرة الشاعر على المزاوجة بين الأغراض بأسلوب جزل جيد السبك رصين العبارة مميز الألفاظ ، ولعلي غير مخطئة إذا قلتُ أن ميل الشعراء إلى قصار القصائد والمقطعات عدا أبا العتاهية كان يسهل عليهم تحقيق ما يرجوه الشاعر وكأنهم يسايرون روح العصر في تلك المقطعات كما في قول الدكتور محمد مصطفى هدارة :-

أن الميل إلى المقطعات وقصار القصائد كان من نتاج القرن الثاني (٢) .

أما الخاتمة فكلنا نعلم بأن ((نهاية القصيدة جزء مهم من بنائها)) (٣) .

وهكذا فان بداية النص ونهايته عنصران مهمان في عملية استقطاب القارئ لذلك فالشعراء يختلفون في خواتم قصائدهم .

فزهديات أبي نواس كان أكثرها على شكل المقطعات وان تعدّتْ عشرة أبيات فانّ خاتمتها تبقى مفتوحة مثال ذلك قوله في مقطوعة تتكون من ثمانية أبيات يبدؤها بالموت ويختمها بالدّنيا :-

الموتُ منّا قريبٌ وليسَ عنّا بنازحْ

....

وبغضُها لك زيْنٌ وحبُّها لك فاضحْ ! (٤) .

وفي قصيدة أخرى يصف بها القيامة تتكون من ثلاثة عشر بيتاً يبدأها بمخاطبة الإنسان ثم يختمها بمخاطبة الجمع :-

---

٢- الديوان ٤٢ .

٢- ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ١٤٨ .

٣- الشعر الحر في العراق ، يوسف الصائغ ٢٢٢ .

٤- الديوان ت . الغزالي ٦١٤٤ .

رضيتَ لنفسكَ سوآتها ولم تالَ جهداً لمرضاتها

....

أما يتفكّرُ أحياؤها فيعتبرون بأمواتها (١) .

أما محمد بن كناسة فكانت اكثر قصائده على شكل مقطعات قصيرة يبدأها بالحكمة وتكامل وحدتها الموضوعية بخاتمه ترتبط بما أبتدأ به :-

ومَنْ قرأ الكتابَ فأدّبَه من الفرقان آي محكماتُ

....

وإلاّ ، فهوَ مأفونٌ شقيٌ بما سعدَتْ به قبلُ النجاة (٢) .

أما الشاعر أبو العتاهية فيترك خاتمته مفتوحة أي باستطاعته أن يكمل بعدها ما يشاء مثال ذلك قوله في قصيدة تتكون من تسعة وثلاثين بيتاً قال في خاتمتها :-

حقّاً لقدْ سَعِدَتْ وما شَقِيَتْ نفسُ امرئٍ يَرْضى بما يُعْطى (٣) .

ولكن في قصيدة أخرى يحسم الموقف في ختام القصيدة بتسليم الأمر إلى الله :-

حَسْبيَ اللهُ إلهاً واحداً لا لعَمْرُ اللهِ ما ذا يلعبُ (٤) .

وفي المقطعات التي يكتبها في غرض الزهد يبقى الأمر مفتوحاً فالخاتمة تحتاج بعد إلى ما يستطيع أضافته الشاعر مثال ذلك قوله في مقطوعة متكونه من خمسة أبيات :-

فإلى متى هذا أراني لاعباً وأرى المُنون إذا أتتْ لمْ تلعبِ (٥) .

وهكذا كان الشافعي ومحمود بن حسن الوراق ، والخلاصة أن الخاتمة لا تأتي زائدة عند الشاعر بل هي عنصر مهم لديه يختمه بما يراه موثراً في قارئه وسامعه ، وبعض الأحيان قد يكون حرف الروي سبباً في توقف الشاعر عند خاتمة محددة وخاصة في روي الحروف النادرة مثل الضاد والغين .....

---

١ – الديوان ت الغزالي ٦١١ .

٢ – محمد بن كناسة حياته ، شعره ، نصوص باقية من كتابه : الأنواء ٣٠٧ .

٣ – أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، ١١ .

٤ – نفسه ٣٠ .

٥ – نفسه ٣٢ .

الفصل الثالث

الصورة الشعرية

الصورة الشعرية

لم أجد تعريفاً واحداً يتفق عليه الجميع وهناك الكثير من الآراء التي تنظر للصورة نظرة دالة على الإبداع ((أنها الخيز الرئيسي الذي تبرز فيه الطاقة الإبداعية)) (١).

ومن رأى أيضاً ((تحتل مكانة مهمة في بنية القصيدة الجديدة)) (٢).

وعند الدكتور جابر أحمد عصفور ((مصطلح حديث صيغ تحت وطأة التأثر بمصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترجمتها غير أن المشاكل والقضايا التي يثيرها هذا المصطلح موجودة في الموروث)) (٣).

ومادامت مشكلة يراها المحدثون فإن التراث العربي القديم منذ عصر الجاحظ ، قد نظر لها ، فقال أبو عثمان الجاحظ (٢٥٥ هـ) ((إنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير)) (٤).

ولا أريد أن أعرف الصورة بتعريفات كثيرة ولاسيما أنني أدرس أكثر من شاعر في غرض الزهد يختلفون في قناعاتهم لذا بات عليّ الاختصار واجباً، ولكني أرى أن التعريف المناسب هو ((أن الصورة هي الميدان الذي تبرز فيه مقدرة الشاعر الفنية)) (٥).

ولا بد من الإفادة من قول الناقد هربرت ريد ((تكمن أهمية الصورة في تأثيرها وتجسيدها للأشياء واعتمادها وسيلة للحكم على أصالة الشاعر)) (٦).

---

١ – في بناء الشعر العربي المعاصر ، محمد لطفي اليوسفي ١١ .

٢ – نفسه ١٢ .

٣ – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ٧ .

٤ – الحيوان ٣/١٣ .

٥ – الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني ، د . علي البطل ٣٠ .

٦ – الصورة الشعرية ، سي دي لويس ، ترجمة أحمد نصيف الجنابي ٣٣ .

ولعلي اذكر تعريفاً شاملاً للصورة قدّمه الدكتور محمد حسين الصغير ((مجموعة العلاقات اللغوية والبيانية والإيحائية القائمة بين اللفظ والمعنى والشكل والمضمون)) (١) .

ومن هذه التعريفات للصورة يمكن الإشارة إلى أن كل شاعر من شعراء هذا العصر وغيره لا بد أن تحتوي قصائده على صور شعرية وقد تتباين فيما بينهم صورةً وتأثيراً وان هؤلاء الشعراء يأخذون بمبدأ الصنعة الشعرية كما ذكر الدكتور قدارة .

((أن مبدأ الصنعة الشعرية كان يأخذ به شعراء هذا العصر عامة – على خلاف بينهم في درجة الصنعة)) (٢) .

١– الصورة الفنية في المثل القرآني ، ٣٧ .

٢– اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٥٨٨ – ٥٨٩ .

مصادر الصورة الشعرية :- بدءً لابدّ أن ابحث عن مصادر تلك الصور الشعرية التي وردت في قصائدهم والخاصة بغرض الزهد ، مؤمنة بأنّ ((كل شاعر يغترف صوره من موردين هما البيئة والثقافة وتتباين الصور من شاعر إلى آخر وفقاً لاختلاف هذين الموردين فالشاعر الذي ينشأ في بيئة صحراوية تختلف صوره عن شاعر ينشأ في بيئة تغصّ بالأشجار والمروج الخضراء)) (١) .

وأنني أمام شعراء عاشوا في زمن واحد وكتبوا في أغراض متنوعة منها الزهد - مدار بحثي هذا - فلابد أن يحصل تباين في آفاق تلك الصور وقد تكثر عند شاعر وتقل عند غيره وهذا ما تطلّبَ مني جهداً كبيراً لاستقصاء تلك الصور ولو كانت دراستي عن شاعر واحد لسهل ترتيبهم وتشخيص مصادرهم لذا فقد اكتفيتُ بتحديد هذين المصدرين عند اغلب الشعراء وأكثرهم شهرة ويظهر واضحاً أن الصور التي استمدها الشعراء من البيئة اكثر من الصور التي أستمدّوها من ثقافتهم وسبب ذلك واضح وظاهر للعيان لان بعضهم عاش في بيئة مثل الكوفة وبغداد زاخرتين بالثقافة وكذلك كثرة شعرهم وتنقلهم قد تزيدهم اطّلاعاً على تناقضات الإنسان وتنوع البيئة الاجتماعية يعكس ذلك الأثر في قصائدهم لا سيما وهم يكتبون عن حالة نفسية لا يفهمها ويعلمها إلا السالك من الناس والمتعبّد والتائب في حياته مبتعداً عن المجون والإسفاف ، و حين أقول أن البيئة تعدو مصدراً للصورة عند الشعراء أعني ما يحيط بهم من أنسان وحيوان وجماد وهذا تبدو صورهم متنوعة تؤول إلى هدف يبحثون عنه ولعل رأي الدكتور هدارة يسد خلاصة ما ذكر حين قال :-

((أن الباحث حين ينظر في شعر القرن الثاني نظرة شاملة يرى مصداق ما ذهبنا إليه من تطور الصنعة الشعرية بصفة عامة ونزوع الشعراء إليها نزوعاً ظاهراً يختلف قلّةً وكثرةً وصنعةً وتصنعاً ، كما يختلف أيضا من ناحية ميله إلى الصناعة اللفظية والمعنوية)) (٢) .

فالشاعر إبراهيم بن ادهم (ت ١٦١هـ) * تأتي الحياة الاجتماعية من مصادر صوره وهو يجمع بينها وبين الدين قائلاً :-

---

١ - الصورة الشعرية عند شوقي ، ثائر محمد الجبوري،رسالة ماجستير،اداب بغداد ١٩٨٧ ص ١٣.

٢ - اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٥٨١ .

* إبراهيم بن ادهم :- هو أبو إسحاق بن منصور التميمي البلخي (ت ١٦١ هـ) وهو زاهد مشهور ، كان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ، وكان يلبس في الشتاء فروا لا قميص تحته ويصوم في السفر والإقامة وينطق بالعربية الفصحى لا يلحن . الأعلام ، للزركلي ١/٣٤ .

ثُرقِّعُ دُنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نُرقِّعُ (١).

وفي موضع آخر يقول في صورة أخرى :-

أجاعتهم الدّنيا فجاعوا ولم يزل كذلك ذو التقوى عن العيش ملجما (٢).

وجمع عبدالله بن المبارك بين مصدرين هما البيئة والثقافة وقد تمثل الملوك بالأول والدين بالثاني إذ قال :-

فاستغن بالدين عن دُنيا الملوكِ كما تغنى الملوكُ بدنياهُمْ عن الدين (٣).

وفي شعر أبي نواس صورٌ اجتماعية كثيرة حين قال :-

إذا امتحنَ الدّنيا لبيبٌ تكشفتْ له عن عدو في ثيابِ صديق (٤).

وتأتي إشارته إلى الأيام وقهرها وكيف يركبها الإنسان غافلاً في صورة رائعة :-

يا راكبَ الذّنب قد شابتْ مفارقه أما تخافُ من الأيام عُقباها (٥).

ومن مصادر صورته الإنسان الذي يقع عليه الموت واحداً باختلاف الخلق وانّ خير السبل السعي في طلب التقوى :-

والموتُ شرْعٌ واحـــدٌ والخلقُ مُختلفو الضروبِ
والسعيُ في طلبِ التُقى من خير مكْسَبَةِ الكسوبِ (٦).

وحين يصوّر الأهل المودّعين للميت يذكر حالهم وكيف يعطرونه بصورة شعرية تعتمد على الناس :-

وكأنّهم قد عطّروكَ بما يتزوّدُ الهلكى من العطر (٧).

ومن مصادر صورته الدين :-

يا أيّها الرجلُ المُعَرّضُ دينهُ إحرازُ دينكَ خيرُ شيءٍ تَصْطنِعْ (٨).

١- التاريخ الكبير لابن عساكر ٢/١٩٠ .
٢- نفســـــه ٢/١٩٦ .
٣- الورقة لابن الجراح ١٥ .
٤- ديوان أبي نواس ، برواية الصولي ٩٨٣ .
٥- نفســـــه ٩٨٩ .
٦- زهـديات أبـــي نـــواس ٧٣ .
٧- ديوان أبي نواس ، ت الغزالي ٦٠٩ .
٨- زهديـات أبـــي نـــواس ٨٩ .

وعند العتابي تأتي صورة الحال من مصادر البيئة ، إذ قال مخاطباً نفسهُ مؤكداً على أنّ القناعة هي أساس مجيء الرزق :-

ولو قنعتْ أتاني الرزقُ في دعةٍ أنّ القنوعَ الغنى لا كثرة المال (١) .

أما الصورة عند أبي العتاهية فـ ((تتسم بالبساطة والسهولة لملائم لغة شعره ، ولكنها في الوقت ذاته على قدر كبير من الطرافة والابتكار والعمق أيضاً .)) (٢) .

وتُعد الدّنيا من أكبر مصادر البيئة الّتي اعتمدها أبو العتاهية في صوره حين قال :-

ومالتْ بكَ الدّنيا إلى اللهو والصّبا ومَنْ مالتِ الدّنيا به كان عبْدَها (٣) .

فالدنيا تميل ميلَ الغصن بصاحبها إلى اللهو وتخدعهُ بملذاتها حتى يصبح أسيرها لا يستطيع أنْ يتركها بعد ذلك .

وفي صورة أخرى يصف الدّنيا بأنّها حصارٌ على الإنسان وهو حصار يؤدي بصاحبه إلى المذلة والصغار

ألا إنما الدّنيا عليكَ حِصارُ ينالكَ فيها ذلّةٌ وَصَغارُ (٤) .

وقد وصف الدّنيا بأنّها بئرٌ ممتلئٌ بالماء تركضُ إليها لتشربَ منها ولكن دون قناعة وارتواء :-

ونسمو إلى الدّنيا لتشربَ صَفْوَها بغير قنوع عنْ قذاها ولا صَبْرِ (٥) .

لذا كانت الدّنيا عندهُ تحمل صوراً حزينة فيجدها حطاماً :-

ألمْ ترَ أنّما الدّنيا حُطامٌ وأنّ جميعَ ما فيها غرورُ (٦) .

ويرى مَنْ يبني لها سوف يتركها لغيره ويعمّرها للآخرين :-

فيا باني الدّنيا لغيرك تبتني ويا عامرَ الدّنيا لغيرك تعمرُ (٧) .

وهكذا يجمع أبو العتاهية بين الإنسان المخاطب والحاضر والغائب والسامع بصور يعتمد عليها من مصدر بيئته وهي الدنيا .

١- العتابي حياته وشعره ٤١٢ .

٢- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٥٨٧ .

٣- أبو العتاهية اشعاره وأخباره ١٣٠ .

٤- نفسه ١٣٦ .

٥- نفسه ١٤٧ .

٦- نفسه ١٥٨ .

٧- نفسه ١٧٠ .

وقد اعتمد في صوره على ما يفيد منـــهُ الإنسان من معادن واحجار وحلي كلها رآها زائلـــة لا تبقى على حالها بل تتغيّر وتنتقل للآخرين وقد جاء المال من تلك الشواهد كثيراً في صوره :-

أجمَعُ المالَ لغيري دائبـــاً وأقاسي العيشَ منهُ في كَبَدْ*
لمن المالُ الذي اجمعـــهُ أ لنفسي أمْ لاهلي والولَـــدْ (١) .

وقولهُ في المال :-

أبقيتَ مالك ميراثاً لوارثهِ فليت شعري مابقى لك المالُ (٢) .

ويشير إلى الذي لا يقتنع بالكفاف فانهُ لم تكفهِ الأرض حتى لو تحولت كلها ذهباً :-

مَنْ لم يكنْ بالكفافِ مُقتنعا لم تكفِهِ الأرضُ كلّها ذهبُ (٣) .

وقد جاءت صور الجمادات منها القصر أراد به أبو العتاهية الإشارة إلى الانهدام وسرعة التغير :-

يابانيَ القصر يا مُشيّدَهُ قصرُكَ يُبلي جديدَهُ الحِقَبُ (٤) .

واشار في صورة أخرى إلى مَنْ يسكن في الدار مرتاحاً مطمئناً فانَّ التقلب للدنيا سوف يأتيـــه مهما حرص عليها :-

ولَقدْ سَكَنْتَ صحونَ دار تَقلّبٍ أبلى وأفنى دارَكَ التقليبُ (٥) .

أما صورة السهم فقد استخدمها أبو العتاهيـــة في تصوير العبر الخاطفة على الإنسان أسرع من نظر العين :- مالي أراكَ كأنّ عينكَ لا ترى عبراً تمُرّ كأنّهنّ سهامُ (٦) .

وإذا ما بحثت عن المصدر الثاني – الثقافة – الذي نهل منـــه الشاعر فانني أجد الكثير من الصور التي اقتبسها الشاعر من التاريخ والدين والسيرة وهي تشكل لديه صورا وتعد مصدرا من مصـــادر تلك الصور .

ويعد التاريخ أكبر المصادر التي استقى منها أبو العتاهية صوره ، فالكتب وسيلة من وسائل الحضـــارة

---

* الكبد :- التعب .

١- أبو العتاهية اشعاره واخباره ١٠٨ .
٢- نفســـــــه ٢٣٧ .
٣- نفســـــــه ٢٤ .
٤- نفســـــــه ٢٥ .
٥- نفســـــــه ٢٧ .
٦- نفســـــــه ٣٥٠ .

والتاريخ ،ويراها أبو العتاهية غير كافية للإنسان حين قال:-

قَدْ سمعْنا الوعظَ لو ينفعُنا ... وَقرأنا جُلَّ آيات الكتبْ

....

جَفَّتِ الأقلامُ من قبلُ بما ... خَتَمَ اللهُ علينا وَكَتَبْ (١) .

وتأتي الإشارة إلى التاريخ بالأمس الذي ولّى مسرعاً عند الشاعر :-

أو الأمس الّذي ولّى ذهاباً ... فليسَ يعودُ أو لَمْعِ السرابِ (٢) .

وإذ يمرّ التاريخ تتغير الملوك والقصور ولكنها كلّها تفنى كما قال أبو العتاهية :-

وكمْ من ملوكٍ شيّدوا وتحصّنوا ... فما سبقوا الأيامَ شيئا ولا فاتوا (٣) .

وأستوحى أبو العتاهية الدين في صوره مذكراً بأنه الأساس الذي نهل منه وتعلّم الحكمة والزهد :-

وأسْرعتُ في ديني ولم أقضِ بُغيتي ... هربتُ بديني منكِ إن نفعَ الهربْ (٤) .

وقد يعجب ممن يشتري دنياه بدينه حين قال :-

أأغفُلُ والمنايا مُقْبلاتٌ ... عليَّ وأشتري الدّنيا بديني (٥) .

وفي قول محمد بن حازم . يأتي الإنسان مصدرا من مصادر صورته التي يكشف عن صاحبه الذي خفض له الجناح في وقت فقره ولما استغنى غير وجهه عنه :-

وخِلٌّ كان يخفض لي جناحا ... اصاب غنى فنابذني جماحا (٦) .

ويأتي المال من مصادر صوره إذ يصور المال الذي كنزه صاحبه ثم أخفاه والمفروض أن يكنز القيم وقد شبّه بماء البحر الذي يخرج الملح ويكثر الدر وكيف يقابله العطشان فيشرب الصافي منه :-

---

١ـ أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٢٩ .

٢ـ نفسه ٣٤ .

٣ـ نفسه ٥٨ .

٤ـ نفسه ٣٥ .

٥ـ نفسه ٣٨٠ .

٦ـ ديوان محمد بن حازم ٢٠١ .

فتىً كنزُ الأموالَ تحت عجانِهِ إذا كنزَ الناسُ الندى والتكرّما
تراهُ كماءِ البحرِ يلفظُ ملحَـــهُ لوارده عنه ،وإنْ كان مفعـما (١) .

وحين يتبرم محمود الوراق بالملوك لأنهم أهملوا شؤون الرعيـــة وأوصدوا الأبواب بوجوههم يتخذ من القصور مصدرا لصورته :-

شادَ الملوكُ قصورهم فتحجبوا من كلّ طالبِ حاجة أو راغبِ
غالوا بأبواب الحديـد لعزّهـــا وتنوقوا في قبح وجه الحاجبِ (٢) .

وتأتي الدنيا مصدرا من مصادر صوره وهو يتعجب متى يقرأ عليها الـسلام يائساً حين قَدِم عليـه الشيب :-

منّي السلام على الدنيا وبهجتها فقد نعاها إليّ الشيب والكبرُ (٣) .

١- ديوان محمد بن حازم ٢٠٩ .
٢- ديوان الوراق ٣٩ .
٣- نفســه ٨٠ .

ظاهرة الاقتباس :- لاشك أن كل أديب يستمدُّ مقومات لغته من مخزونه الثقافي الذاتي ومن تراثه الغزير بعد أن يتأصل في أعماق هذا التراث . كان القرآن الكريم في مقدمة ما اقتبسوا منه ألفاظاً ومضامين في مواضع كثيرة وقد صبّوها بمضامين تناسب عصرهم وأفكارهم واتكئوا على الاقتباس من القرآن الكريم بنقل بعض الألفاظ مرةً والمضامين مرة أخرى وقد ضمنوا بها قصائدهم ((انهم إنما يستمدون معاني شعرهم من القرآن والسنة ليدعوا بذلك إلى الزهد ومعانيه)) (١) .

والاقتباس :- ((هو أنْ يضمّن المتكلم منثوره أو منظومه شيئاً من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما)) (٢) .

وقد اقتبس بهلول المجنون من القرآن الكريم قوله تعالى ((قُلْ حسبيَ اللهُ عَلَيهِ يتوكّلُ المُتوكّلونَ)) **

قال الشاعر شاكراً ربّه الذي توكل عليه :-

حسبي الله توكلت عليه ... ونواصي الخلق طرّاً بيديه (٣) .

واقتبس قوله تعالى :- ((ونحنُ أقربُ إليهِ من حبلِ الوريدِ)) **

فالشاعر يدعو الإنسان أن يكون قريباً من ربّه في كل شيء ، العمل ، العبادة وغيرها ... فهو ليس ببعيد بل أقرب إليه من حبل الوريد :-

كن حَيياً إذا خلوتَ بذنبٍ ... دون ذي العرش من حكيم مجيدِ
أقرأتَ القرآنَ أم لستَ تدري ... أنّ ذا العرش دون حبل الوريد (٤) .

واقتبس قوله تعالى :- ((واللهُ يَرزُقُ مَنْ يشاءُ بغيرِ حِساب)) ***

فهو ينصح الإنسان بان يطلب الرزق من عند الله وقد قسّم أرزاقه كما يشاء لصاحب عقلٍ ولغير العاقل وبدون سبب الها إرادة الله لا يعرفها الإنسان :-

فاسترزق الله مما في خزائنه ... فالله يرزق لا عقل ولاسببُ (٥) .

١- محمود الوراق حياته وشعره ١٠٠ .

٢- جواهر البلاغة / احمد الهاشمي ٤١٤ .

* سورة الزمر ٣٨ .

٣- أعيان الشيعة ، ١٤ / ٦٥٣ ، عقلاء المجانين ٨١ .

** سورة ق / ١٦ .

٤- عقلاء المجانين ٨١ .

*** سورة البقرة ٢١٢ .

٥- أعيان الشيعة / ١٤ / ١٦٢ .

وقد اقتبس سعدون الجنون من قوله تعالى :-

((وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)) *

قال الشاعر محاكياً ومسمياً تلك الحياة بالمتاع الذي يأخذ معه المسافر وفيها تستوي جميع الناس لا خلاف بينهم ولا فرق .

إنما هذه الحياة متاع ومع الموت تستوي الأقوامُ (١) .

واقتبس قوله تعالى ((حورٌ مقصوراتٌ في الخيام)) **

كما في قوله واصفاً تلك الحور اللاتي أشار لهن القرآن وقد فاق بمحاسن ضوء الصباح الجميل المشرق :

من الحور الحسان منعمات تفوت وجوهها ضوء الصباحِ (٢) .

واقتبس أبو نواس من القرآن الكريم قوله تعالى :-

((والأرض بعد ذلك دحاها)) ***

كما في قوله مشيراً أن اصل البركات الشكر لله الذي خلق تلك السماوات واحكم الأرض وحدد القوت للبشر بحكمته وارادته .

تبارك ربّ دحاها* أرضهُ وأحكمَ تقدير أقواتِها (٣) .

ومن قوله تعالى ((وله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر)) ****

قال الشاعر أبو نواس مؤكداً على سرعة الموت وأخذه بعجالة أسرع من لمح البصر :-

ان للموت آخذهْ تسبق اللمح بالبصرْ (٤) .

واقتبس قوله تعالى ((ولاتحسبنّ الله غافلاً عمّا يعملُ الظالمون)) *****

---

* سورة آل عمران ١٨٥ .

١ – عقلاء المجانين ٦٦ .

** سورة الرحمن ٧٢ .

٢ – عقلاء المجانين ٦١ .

*** سورة النازعات ٣٠ .

* دحا :- بسط ومهد أرضهُ .

٣ – الديوان ت الغزالي ٦١٥ .

**** سورة النحل ٧٧ .

٤ – الديوان ، برواية الصولي ٩٨١ .

قال الشاعر ينصح المرء وينهاه عن ظنه بان الله يغفل عن عبده لحظة واحدة ولا يضيع ويخفى عليه شيء من أمور عباده :

ولاتحسبنَ الله يغفلُ ساعة ولا أنّ ما يخفى عليك يغيبُ (١).

واقتبس من قوله تعالى ((يوم تشهدُ عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)) .

قال الشاعر يسائل ذاته ما حجته حين تشهد عليه يداه يوم الحساب وهنا لا مجال للخلاص عندما يكون الشاهد عليه من أعضاء جسده وقد ارتكبت اليدان ذلك الخطأ :-

ما حجّتي يوم الحساب إذا شهدت عليّ بما جنيتُ يدي (٢).

واقتبس يحيى بن المبارك اليزيدي قول تعالى ((ولبئس الورْدُ المورودُ)) ..

إذ يرى أن المنهل الحقيقي الذي يلتجئ إليه الإنسان عندما يعطش هو مورد الماء ولكن عندما يحين منهل الموت فأين منه المهرب ولابد أن يقف على هذا المنهل بقدرة الباري إذ يقول :-

قال الشاعر ينصح المرء وينهاه عن ظنه بان الله يغفل عن عبده لحظة واحدة ولا يضيع ويخفى عليه شيء من أمور عباده :

ولاتحسبنّ الله يغفلُ ساعة ولا أنّ ما يخفى عليك يغيبُ (١) .

واقتبس من قوله تعالى ((يوم تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجُلُهم بما كانوا يعملُون)) *

قال الشاعر يسائل ذاته ما حجته حين تشهد عليه يداه يوم الحساب وهنا لا مجال للخلاص عندما يكون الشاهد عليه من أعضاء جسده وقد ارتكبت اليدان ذلك الخطأ :-

ما حجّتي يوم الحساب إذا شهدت عليّ بما جنيتُ يدي (٢) .

واقتبس يحيى بن المبارك اليزيدي قوله تعالى ((و بئس الورْدُ المورودُ)) **

إذ يرى أن المنهل الحقيقي الذي يلتجئ إليه الإنسان عندما يعطش هو مورد الماء ولكن عندما يحين منهل الموت فأين منه المهرب ولابد أن يقف على هذا المنهل بقدرة الباري إذ يقول :-

لكل أمرءٍ منا من الموت منهلٌ وليس له الا عليه وردُ (٣) .

واقتبس محمد بن كناسة من قوله تعالى ((الر كتابٌ أحكمتْ آياتُهُ ثم فُصلتْ من لدُن حكيم خبير)) ***

قال الشاعر مشيراً إلى القرآن وآياته المحكمات المفصلة في حياة الإنسان :-

ومن قرأ الكتاب فأدبّه من الفرقان أيّ محكمات (٤)

١- الديوان ، برواية الصولي ٩٧٨ .

* سورة النور ٢٤ .

٢- زهديات أبي نواس ٤٤ .

** سورة هود ٩٨ .

٣- شعر اليزيديين ٤٣ .

*** سورة هود ١ .

٤- محمد بن كناسة حياته وشعره ٣٠٧ .

وقد جاءت سهولة الشعر عند ابي العتاهية (ت ٢١١ هـ) وقرب متناوله ومقدرته الفائقة على نظمه وارتجاله .

((فقد كانت هذه المقدرة تيسر له السبيل إلى معاني الآيات والأحاديث التي يريد نقلها إلى شعر موزون مقفى)) (١) .

فقد اقتبس الآية الكريم ((كَلَّا إِنَّ الإِنسانَ لَيَطغَى أَن رَّآهُ آستَغنى)) *

فقال واصفاً الآفة القاتلة في الدنيا وهي الموت والتي لابد أن تقتل طموح الإنسان وتقطع ملذاته ومع هذا فان الإنسان لا يتعظ وقد يطغى كلما زاده الله رزقا ولا يشكر نعمته :-

المرءُ آفتُهُ هوى الدّنيا والمرءُ يطغى كلما استغنى (٢) .

وفي الآية الكريمة ((آلرَّحمَنُ عَلَى العَرشِ استوى)) **

قال مقتبساً مضمون الاية واصفاً صفات الله جلّ وعلا المعروفة التي لا تخص سواه فهو الخفي والظاهر والملك على العرش دائما :-

وهو الخفيُّ الظاهرُ الملكُ الذي هو لم يزلْ ملكاً على العَرْش استوى (٣) .

وفي ذكره أن الموت حق وان الإنسان له ماسعى كما في الاية ((وَأَن لَّيسَ لِلإِنسانِ إِلاَّ مَا سَعَى)) ***

قال مقتبساً الآية وموضحاً أن الأحياء من الناس لم يموتوا ميتة أخيرة بل يبعثون يوم الحشر ولكي تجزى كل نفس بما عملت :-

فما مُوِّتَ الأحياء إلا ليُبعثوا وإلا لتُجزى كلُّ نفس بما سَعَتْ (٤) .

١- حياة الشعر في الكوفة ، د . يوسف خليف ٦٦٨ .

* سورة العلق ٦ - ٧ .

٢- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٩ .

** سورة طه ٥ .

٣- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ١٥ .

*** سورة النجم ٣٩ .

٤- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٧٠ .

وفي قوله تعالى ((كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق)) *

قال يصف ذلك الحي الذي ينادب لأمر مسا وحينها يلتقي بمن ناداه ثم يأتي الموت ويصبح كأنه لم يكن شيئاً موجوداً :-

كأنَّ حيّاً قد قام نادبُه والتفتِ الساقُ منهُ بالساقِ.
واستلَّ منهُ حياتَهُ ملكُ المـــــــوتِ خفيّاً وقيلَ من راقِ (١)

وقد اقتبس من الحديثين النبويين الشريفين ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)) و

((كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل)) (٢).

إذ قال ناصحاً الإنسان أن يترك ما يشك فيه خشية أن يقع في الحرام :-

ودعْ ما يريبُك لا تأتِه وجُزْهُ إلى كلِّ ما لا يريبُ
اراكَ لدنياك مستوطناً ألمْ تدْرِ انك فيها غريبُ (٣).

وقال مقرراً بأن الناس جميعاً في الدنيا عابرو سبيل سوف يقضي أحدهم وقتاً ثم يرحل عنها فلماذا يصادقها ويغتر بها :-

إنا لمستوطنونَ دارا نحنُ بها عابرو سبيل (٤).

أما الشاعر(الوراق) فقد اقتبس الكثير من القرآن الكريم منه قولـــه تعالى

((ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب)) **

إذ قال :-

وإذا مرضت من الذنوب فداوها بالذكر أن الذكر خير دواء (٥).

كما اقتبس قوله تعالى ((وإن تعدُّوا نعمة الله لا تُحصوها)) ***

والشاعر يشكر الله صاحب النعم الكثيرة التي لا يحصيها أحد وله الحمد والثناء على كثرتها إذ قال:-

---

* سورة القيامة ٢٦ - ٣٠

١-أبو العتاهية اشعاره واخباره ٥٨٩

٢- الأحاديث الأربعين النووية - عبدالله بن صالح ، الحديث ١١ ص ٢٤ والحديث ٤٠ ص٧٧

٣-أبو العتاهية اشعاره واخباره ٣٧

٤-نفســـــه ٣٠٠ .

** سورة الرعـــــد ٢٨ .

٥-الديـــــوان ٣٣ .

*** سورة إبراهيـــم ٣٤ .

الحمدُ لله إنَّ اللهَ ذو نِعَم لم يحصِها عددا بالشكر من حمدا (١) .

وإذ يتحدث عن التوبة يستذكر قولهُ تعالى ((ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)) *

كما في قوله طالباً من الإنسان أنْ يقدّم توبة قبل مجيء الأجل وقبل أن تُحبس الألسن عن الكلام يوم الحساب :-

قَدِّمْ لنفسكَ توبةً مرجوةً قبل الممات وقبلَ حبس الألسن (٢) .

ويأخذ المعنى من قوله تعالى ((أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)) **

فيقول واصفاً القدر المحتوم على موت المرء في الأرض التي أختارها الله والمكان والزمان دون تغير وكل ما كتب عليه يلقاه :-

فمن كانت منيّتُه بأرضٍ فليس يموت في ارضٍ سواها (٣) .

واقتبس من قول الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ((ياعبد الله أغتنم خمساً شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك)) (٤) .

قال طالباً من المرء أن يستغل الفرصة في شبابه للتقوى قبل الهرم وكبر السن ومداراة الصحة قبل الإصابة بالمرض وأنْ يستغل أيام العيش قبل الممات والإفادة من وقت الفراغ وإنجاز بعض الأعمال النافعة ، كل هذه الأمور نافعة للأنسان :-

بادرْ شبابكَ أنْ يهرمـا وصحة جسمك أنْ يسقمـا
وأيام عيشك قبل الممات فما قصر مَنْ عاش أنْ يسلما
ووقت فراغك بادر بـه لياليَ شغلك في بعض مـا (٥) .

١- الديوان ٦٢ .

* سورة طه ١٢٢.

٢- الديوان ١٢٩ .

** سورة النساء ٧٨ .

٣- الديوان ، ق ١٨٧ (المنسوب اليه) .

٤- حلية الأولياء ٤/١٤٨ .

٥- الديوان ١٢١ - ١٢٢ .

أغراض الصور

١- **الصورة المفردة :-** كلنا نعلم أن الشاعر يلجأ إلى استعمال الصور ((ليعبر عن حالات غامضة لا يستطاع بلوغها مباشرة أو من أجل أن تنقل الدلالة الحقة لما يجده الشاعر)) (١) .

وانطلاقا من هذا التصوّر تكون القصيدة عبارة عن مجموعة من الصور المفردة المتماسكة التي يأخذ بعضها برقاب بعض من خلال وحدة عضوية شاملة .

وقد عُرّفتْ الصورة المفردة بأنها ((تعبير لغوي مفيد يكشف النقاب عن تجربة ذاتية مرتبطة بالتذكر أو التفكير أو التخيّل)) (٢) .

وتكثر الصور المفردة عند شعراء القرن الثاني وذلك عن طريق التشبيه كما جاء في مفتاح العلوم :- ((أن التشبيه مبتدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقا من وجه آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس)) (٣) .

وأن التشبيه هو الأداة البسيطة الممكنة للتعبير الفني وذلك لانه يعيد الأشياء إلى أصلها .

ومن هؤلاء الشعراء عبد الله بن المبارك الذي شبه الفجائع التي يتعرّض لها المرء في حياته بوقع الجندل لصعوبتها وفخامة أمرها :-

وبناتُ دهْرٍ لا تَزَالُ مُلِمَّةً ... فيها فجائعُ مِثْلِ وَقْعِ الجندلِ (٤) .

فالمشبه الفجائع والأداة مِثْل والمشبه به وقع الجندل ووجه الشبه القوة والفخامة .

أما الشاعرة ريحانه المجنونة * فتصف في عقلاء المجانين الزاهدين من الناس والقائمين بأدية واجبهم الديني بالأغصان التي تمزها الريح فتميل إلى جهات متفرقة :-

---

١- الصورة الأدبية ، د.مصطفى ناصف ٢١٧ .

٢- الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، د . صالح أبو إصبع ٣١ .

٣- مفتاح العلوم ، للسكاكي ٥٥٨ .

٤- الورقة ١٧.

* ريحانة المجنونة :- ذكرت أمام ابراهيم بن أدهم فخرج إلى الأبلة (بلدة على شاطئ دجلة البصرة) ليراها ، فإذا هو بجارية سوداء قد أثر البكاء في خديها خطا ومن قولها في أمر الآخرة :-

مَنْ كان راكبَ يومٍ ليسَ يأمنهُ ... وليله تائهاً في عقب دنياهُ

إذا ما الليل فاجأهم فهم في الليل رهبانُ
يميلون كما مال من الأرياح أغصانُ (١).

والصورة المفردة التي تتعلق بالتشبيه عند أبي نواس كثيرة وهنا لابد من ذكر قول الدكتور هدارة:- ((الحقيقة إن أكثر صور أبي نواس تعتمد ـ كصور بشار ـ على التجسيم والتوضيح والاهتمام بأصغر الجزيئات والتوسع في إدراك العلاقة بين الأشياء و محاولة صبغ الصورة بحالة النفس حتى لتبدو كلوحة الفنان الحاذق كاملة الأصباغ والألوان محكمة الخطوط والأضواء)) (٢).

وهو يؤكد في صورة أخرى حالة من لا تصلحهم الدنيا وستكون نهايتهم الفشل :-

كأنّهمُ لمْ يَنزِلوا غيرَ دارهم وَلمْ يعرِفوا إلا المذلّةَ والبلوى (٣).

وفي مخاطبة الجمع يكرر أداة التشبيه في صورة أخرى ثلاث مرات :-

فكأنّ أهلك قد دعوكَ فلمْ تسمعْ وأنت محشرجُ الصدرِ
وكأنّهم قد عطّروكَ بما يتزوّدُ الهُلكى من العطرِ
وكأنّهمْ قد قلّبوكَ على ظهرِ السريرِ ، وظُلْمةِ القبرِ (٤).

١- عقلاء المجانين ١٤٨ .
٢- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني ٥٨٥ .
٣- زهديات أبي نواس ٦٩ .
٤- ديوان أبي نواس ، ت الغزالي ٦٠٩ .

وتأتي أداتا التشبيه مرتين في صورة مفردة واحدة يشير فيها إلى ما مرّ عليه وكأنه حلم كما في قوله:-

كأنّ ما فاتَ إذا ما مضى حُلْمٌ وما كانَ كأنّ لم يَزَلْ (١)

وقال مشبهاً الموت هاجماً على الحياة والشيب على الشباب في قوله :-

كأنكَ قدْ هجمتَ على حياتي كما هَجَمَ المشيبُ على الشبابِ (٢)

وشبه أبو نواس الإنسان الذي يصدق الدنيا ويأمن أحداثها ويبعد عن نفسه الموت ويغرم باللذات بسهام الموت وهي نافذة على المرء مهما تدرّع وتحصّن وكأنه الذي يحطب بالليل في الظلام الدامس ليجمع الحطب دون أن يدرك ما يجمعه من جيد وردئ:-

أراكَ لَسْتَ بوقافٍ ولا حَذِرٍ كالحاطبِ الخابطِ الشجراءَ في الغَلَسِ (٣).

فالمشبه المخاطب الذي يحدثه الشاعر والمشبه به الحاطب والأداة الكاف .

وتعكس هذه الشواهد هواجس الشاعر الإبداعية وقلقه وخوفه من الموت ومحاولته الإمساك بالحياة ورغبته بالحصول على غايته .

وقد وصف سكون القبور وحديث الموتى وشبّه بطون موتاها الغائبين بالظهور :-

فإنّ سكوتَها حَرَكٌ تنادى كأن بطونَ غائبها ظهورُ (٤).

ويبدو لي واضحاً أن شطر البيت ظهر فيه تشبيه محذوف الأداة .

ومن التشبيهات التي جاءت في شعر الشافعي متحدثا عن القناعة والموت والزهد وهو يشبه زكاة الجاه بزكاة المال الواجب تأديتها للمحتاج إذ قال :-

وأدِّ زكاة الجاه واعلم بأنها كمثل زكاة المال ثم نصابها (٥).

وشبه الشافعي الدّنيا وغرورها بالسراب الذي يلوح في الصحراء :-

فلم أرها ألا غروراً وباطلاً كما لاح في ظهر الفلاة سرابها (٦).

١- زهديات أبي نواس ٨٢ .

٢-نفسه ٨٥ .

٣- نفسه ٨٨ .

٤- ديوان أبي نواس ،ت الغزالي ٦١٣ .

٥-الديوان ٣١ .

٦-نفسه ٣٣ .

فالمشبه محذوف وهو الدنيا والأداة الكاف والمشبه به السراب الذي ظهر في الصحراء .

وقد أشار الشافعي إلى الزهد والاكتفاء بالقليل من المال مشبهاً التبر (الذهب) بالتراب ، قد يكون في مواقعه ولا يساوي شيئا :-

والتبر كالترب ملقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب (١) .

فالمشبه التبر وهو الذهب والمشبه به التراب والأداة الكاف ، وحين يصف أصحابه يشبههم بالدهر الغادر الذي لا يؤمن عليه أحد :-

لما بلوت اخلائي وجدتهم كالدهر في الغدر لم يبقوا على أحدِ (٢) .

فالمشبه الإخلاء والأداة الكاف والمشبه به الدهر في غدره وعدم وفائه .

ومن علامات الزهد عند الشافعي الصمت الذي يشبهه بالتاجر دون أن يستخدم أداة التشبيه :

وما الصمت ألا في الرجال متاجر وتاجره يعلو على كل تاجرِ (٣) .

وقال الشاعر محمد بن كناسة الأسدي بعدما علت به السن ، قصيدة مشبها سني عمره بغدوة الراجع إلى الحياة :-

كأنّ سبعًا مضتْ لي في تَصعُّدها إلى الثمانين كانت غُدوة الغادي
لم يبقَ من مرّها ألا تذكُرُها كالحُلم في طول إفراعي وإصعادي (٤) .

ويظهر هنا في قوله أداة التشبيه كأن والمشبه السنون السبع والثمانون والمشبه به الغدوة ،وفي البيت الثاني يشبه تلك السنين بالحلم الذي مر سريعا ولم يرجع .

وفي النظر إلى الدنيا وعدم تصديقها قال سعيد بن وهب (ت ٢٠٨ هـ) *مشبهاً حياة الإنسان كلفظ بلا معنى :-

نَرمُقُها مِنْ كَثبٍ حسرَةً كأننا لفظٌ بلا معنى (٥) .

١- الديوان ٤٩ .

٢- نفسه ٨٣ .

٣- نفسه ٩٩ .

٤- محمد بن كناسة حياته وشعره ، مجلة آداب الرافدين ٣٠٩ .

*سعيد بن وهب :- هو سعيد بن وهب الحمداني من بني يحمد بن وهب بن صادق ، توفي في الكوفة سنة (٢٠٨ هـ) وكان ثقة وله أحاديث ... طبقات ابن سعد ٦/١٧٠ .

٥- الأغاني ٢٠/٣٣٦ . دار الكتب ، ط١

أما الشاعر أبو العتاهية فديوانه يزخر بالصور المفردة الكثيرة المتنوعة التي يصعب إحصاؤها والتي يكون أكثرها بوساطة التشخيص والمبنية عن طريق التشبيه ، وقد وجدت في صور أبي العتاهية وفي غرض الزهد حصراً الكثير من تلك التشبيهات التي أراها جديرة بخلق الصورة الشعرية المثيرة للمتلقي ، وقد كان أبو العتاهية من أئمة الزهاد الذين عنوا بتشبيهات متعددة ركّزتْ على الدّنيا ومحاسنها ومساوئها التي تغدو حينا جميلة أمام صاحبها لكنها كالسراب :-

كأنّ محاسنَ الدّنيا سرابٌ وأيّ يدٍ تناولتِ السّرابا (١) .

وتظهر أداة التشبيه كأن واضحة في تصوير وتشبيه المحاسن بالسراب أما وجه الشبه بينهما فهو الفقدان والاختفاء فهل تمسكُ الأيدي السراب فكذلك الأيدي نفسها لا تمسك الدّنيا ، وحين يشبه الإنسان وصباه و عمره الذي يغرّه يشبهه بالغصن الرطيب المائل،

والغصون الليّنة التي كانت لا فتّة للنظر وقد يبستْ وهكذا حال الصبا والشباب :-

وكُنّا كالغُصونِ إذا تثنّتْ منَ الرّيحانِ مونِقةً رطابا (٢) .

وفي موضع أخر شبه زوال الشباب بالغصن العاري الخالي من الورق إذ قال :-

عريتُ منَ الشبابِ وكان غضّاً كما يَعرى من الورقِ القضيبُ (٣) .

وواضح هنا المشبه الشباب والأداة الكاف والمشبه به الغصن ووجه الشبه بينهما العري والمسح .

وعندما يصف زوال الدّنيا وتنوّع صروف الدهر وعدم استقرار الزمن يشبّه عدم الحاحه على الزمن بالحلم الذي لا يغرّهُ فقد يغيب سريعا عن ناظريه وينتهي أمره بعجالة :-

أراكَ وإنْ طلبتَ بكلّ وجْهٍ كحلم النوم أو ظلّ السحابِ (٤) .

وهنا تأتي صورتان للمشبه الإنسان والمشبه به هما الحلم والسحاب فكلاهما ضائع غير مستقر وثابت وهكذا عمر الإنسان وحاله .

ويشبه في صورة مفردة أخرى الدنيا بالشيء الذي يذهب سريعا ولا يبقى على حال ثابت وقد يظهر فيه الضباب حينا .

١- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ١٩ .

٢- نفسه ٢٠ .

٣- نفسه ٣٢ .

٤- نفسه ٣٣ .

إنما الدنيا كفيء تولى أو كما عاينت فيه الضبايا (١)

فالدنيا هي المشبه والأداة الكاف والمشبه به الفيء ووجه الشبه بينهما الزوال والانطفاء والرحيل .

وفي صورة مفردة أخرى يقول الشاعر :-

إنما تنفي الحياة المنايا مثلما ينفي المشيب الشبابا (٢) .

هنا تختلف الأداة عن سابقتها وهي مثل والمشبه متشاكل بين صورة الحياة وعكسها الموت والأخرى المشيب وما يناقضه الشباب فالمنايا تنفي الحياة وتقوضها من الدوام مثلما يفعل المشيب بالشباب ويقوضه من نضارته .

ويناص أبو العتاهية مع أبي نواس المار قوله آنفا في تشبيه الموت هاجماً عليه كما هجم المشيب على شبابه بالحالة نفسها :-

كأنك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيبُ على شبابي (٣) .

فالأداة كأنَ والمشبه الموت الذي هجم على المشيب والمشبه به المشيب الذي هجم على الشباب بصورة تشبيهية واضحة .

وهكذا ترد الصور المفردة التي تأتي بأساليب متنوعة منها الخطاب والاستفهام وقد يشبّه الإنسان ساكن الدنيا الذي يشبه من يجمع المال ويخزنه ثم يتركه في قوله :-

يا ساكن الدنيا كأنك خالد أ تسكن خالداً فجمعتها وخزنتها (٤) .

أن الأداة كأنَ والمشبه هو ساكن الدنيا وقد شبهه بالشخص الآخر الذي يجمع ويخزن المال ثم يتركه إلى الآخرين وحين يصف صروف الدهر وخوفه من كأس المنون الفاجئ يخاطب ذاته :-

لا شربنّ بكأس الموت منجدلا يوماً كما شرب الماضون بالكاس (٥) .

فالأداة الكاف والمشبه هو الشاعر والمشبه به الذين مضوا وشربوا كأس منيتهم جبراً فسوف يكون حاله كحالهم وقد تزدحم صوره المفردة في أداة متكررة لا تنقطع حتى يقتنع بأنه قد رسم الصورة التي أرادها .

١- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٣٩ .

٢- نفسه ٤٠ .

٣- نفسه ٣٣ .

٤- نفسه ٨٧ .

٥- نفسه ١٥ .

يا ألفَ الخلانِ مُعتقداً لهـــمْ ... سَتَشُطُّ عنهمْ بالممات وتَشْحَطُ
وكأنّني بكَ بينهمْ واهي القوى ... نضْواً تقلّصُ بينهـــمْ وتبسّـــطُ
وكأنّني بكَ بينهمْ خفقَ الحشـا ... بالموتِ في غمراتـــهِ يتشحّـــطُ
وكأنّني بكَ في قميصٍ مُدْرجـاً ... في ريطتـــين ملفّـــفاً ومحنّـــطُ
لا ريطتين كريطتي متنسّـــمٍ ... روحَ الحياة ولا القميصُ مخيّـطُ (١).

وتجمع هذه الصورة المفردة وتكون في تركيبها صورة مركبة ، وقد تكررت الأداة كأن ثلاث مرات وهو يشبه مخاطبة واهي القوى وخفق الحشا ومخيط بلا قميص ، ثم ينتقـــل في البيت الأخير إلى أداة أخرى هي الكاف والمشبه المتسم لروح الحياة والمشبه به مخاطبه الأول .

وقد جاءت الصور المفردة [illegible] كثيراً في شعر محمود الوراق ضمن تداعيات نفسية قلقة تنبعث من نفس زاهدة قانعة بالقليل رافضة للملذات مؤكداً على صاحب العقل الّـذي يمسك بتداعيات نفسه خشية العيوب عكس صاحب الجهل الّذي تشكل عليـه ضروبه حتى يصبح كحاطب ليل وقد ورد التشبيه هنا بالأداة الكاف والمشبه هو الراكب والمشبه بـه هـو حاطب ليل ووجه الشبه الاصابه والخطا إذ قال :-

راكب ردعه كحاطبِ ليلٍ ... يخطي الأمر كلّه أو يصيبه (٢).

وحين يصف صاحبه الذي فارقه طويلا يشبه نفسه بالمجهود الذي تحامى أي المضطر الّـذي صبر على أكل الميت وحين أفاق من جوعه رجع إليه :-

كمجهودٍ تحامى أكلَ ميتٍ ... فلمّا اضطرّ عادَ إليه شدّا (٣).

ولم يفتْـهُ أن يشبه شعر الرأس الأسود بالنجوم التي تملأ السماء مشبها سواد الرأس والبياض بالليل

١- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٢٠٥ .
٢- ديوان الوراق ٣٧ .
٣- نفســـــه ٥٥ .

المتلئ بالنجوم :-

فسوادُ رأسكَ والبياض كأنّهُ ليلٌ تدبُّ نجومهُ وتسيرُ (١) .

وقد أفاد من الأداة مثل مكررة في قوله :-

ولمْ أرَ مثل الفقر أوضع للفتى ولمْ أرَ مثل المال أرفــع للنذل
ولـــمْ أرَ عزاً لامرئ كعشيرة ولمْ أرَ ذلا مثل نأي عن الأهل (٢) .

وقد شبه في البيت الأول الفقر بالوضاعة والذلّة ، وفي تشبيه آخر للمال بالرفعة للأنذال مــن الناس وشبه في البيت الثاني العشيرة التي يحتمي بها الإنسان بالعزّ الذي يحتاجهُ ويعتمدهُ في حياته ، وفي تشبيه آخر شبه البعدَ عن الأهل وفراقهم بالذل القاسي الذي لا يناسب الإنسان .

وقد شبه الوراق الشيب بالنجوم حين يظهر في رأس الإنسان وما زال شعره أسود :-

فكأنّهُ فيها النجوم إذا جدَّ المسيرُ بها على مهل (٣) .

١- ديوان الوراق ٦٩ .
٢- نفســـــه ١٠٤ .
٣- نفســـــه ١٠٧ .

٢ – الصورة الاستعارية :– اهتمَّ العربُ بالاستعارة قديمًا وحديثًا منذ زمن الجاحظ وأدركَ عبد القاهر الجرجاني في وقت مبكر أن الاستعارة تقوم على علاقة التشابه ((أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل والتشبيه قياس والقياس يجري مما تعيه القلوب وتدركهُ العقول وتستغني فيه الأذهان لا الأسماع والأذان)) (١).

((وتعد الاستعارة أعظم أدوات رسم الصورة الشعرية لأنها قادرة على تصوير الأحاسيس الفائرة وانتشالها وتجسيدها تجسيداً يكشف عن ماهيتها ولكنها بشكل يجعلنا نفعل انفعالا عميقًا بما تنطوي عليه،لذلك فهي أداة توصيل جيدة تصور ما يجيش في صدر الشاعر وتنقلهُ إلى المتلقي بشكل مؤثر))(٢)

وقد عرف السكاكي الاستعارة ((أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الأخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك باتباعك للمشبه ما يخص المشبه به)) (٣).

وأن شعراء هذا القرن كانوا شعراء بالفطرة تفاعلوا مع لغتهم لتشكيل اضطرابهم وأحاسيسهم وحولوا مشاعرهم صوراً ممتلئة بالحياة ، ومن هؤلاء الشعراء الشاعرة ريحانة المجنونة التي تأتي بصورة استعارية تأخذها من القرآن الكريم :–

والقلبُ فيه إنْ تنفسَ في الدّجى بسهام لوعات الهوى مَجْروحُ (٤).

ويظهر هنا أن ا لتنفس ليس للقلب وهذه استعارة شبيهة بقوله تعالى ((والصبح إذا تنفس)) *

وفي شعر ابي نواس صور استعارية كثيرة ولكنها في غرض الزّهد قد جاءت قليلة فالمعروف انّ أبا نواس قد غمس نفسهُ باللذّات واكثر من شعر الخمرة وجاء الزّهد في أخريات حياته

كما أكّد ذلك الدكتور هدارة قائلاً :–

١– أسرار البلاغة للجرجاني ١١٢ .

٢– التصوير الاستعاري في الشعر ، عدنان قاسم ، مجلة الثقافة ، تموز ١٩٨٠ ص ٥٨ .

٣– مفتاح العلوم للسكاكي ٥٩٩ .

٤– شهيدة العشق الإلهي ٢١٤ .

((لماذا نشكُّ في صدق إيمان أبي نواس إنْ كان قال زهدياته قُبيل وفاته كما يذهب بعض المؤرخين والكتاب)) (١).

وللشاعر استعارة تصريحيّة واضحة في إعطاء دور الإنسان صاحب العقل إلى الشيب معتبراً الشيب ناصحاً كما ينصح الإنسان ولكنهُ لا يجد مَنْ يسمعهُ فهو المبشر المنذر لنهاية واقتراب رحيل الإنسان في قوله :-

لله درّ الشيبِ من واعظٍ ... وناصحٍ لو قُبلَ الناصحُ (٢).

وكم خاطبَ أبو نواس نفسهُ في مقطوعات كثيرة طالبًا الرجوع إلى الله والخوف منهُ وخشية العذاب يوم الحساب وقد حاولَ الإفادة من تجاربه في وعظ الناس لذلك يكثر من ذكر الموت وتصوير نزوله بالإنسان ليجعل منهُ عظةً وعبرةً ويستدل بوقوعهِ على تفاهة الحياة الدنيا ... (٣).

وقد استعار صورة من الإنسان وهي شيب المفارق ومنحها للمذنب وأراد بذلك دلالة الفعل الذي يرتكبه الإنسان إذ قال :-

يا راكبَ الذنب قدْ شابتْ مفارقهُ ... أما تخافُ من الأيام عُقباها (٤).

وقد أستبدل الأكل والشرب من الإنسان في صورة استعارية إلى المنايا مجسداً تلك الصورة المقرفة التي تدل على الدوام والاستمرار على الرغم من ذلك ، فإنّ الإنسان ملتصق بالدنيا وملذاتها وهو يرى المنايا تأكله وتشربه مثلما يفعل لدوام حياته إذ قال :-

والمنايا آكلاتٌ ... شارباتٌ للأنام (٥).

وقال واصفاً الوثوب من فعل الإنسان وحركة يقوم بها في السباق والركض على الحياة فقد استعارها إلى الحادثات في قوله :-

كلٌ على الدنيا لهُ حرصٌ ... والحادثاتُ وثوبُها نَقصُ (٦).

١- اتجاهات الشعر العربي ٣١٦ .

٢- ديوان أبي نواس برواية الصولي ٩٧٨ .

٣- يُنظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٣١٨ .

٤- ديوان أبي نواس برواية الصولي ٩٨٩ .

٥- نفسه ٩٨٥ .

٦- زهديات أبي نواس ١٠٢ .

وكذلك استعار الأخبار وهو من فعل الإنسان وقدرته على النطق وأعطاها إلى القبور في تلك الصورة المؤلمة التي تدل على الوعظ :-

ألا تأتي القبورَ صباحَ يوم فتسمعَ ما تُخبِّرُكَ القبورُ (١) .

وهكذا يأخذ الصدود من الإنسان وكذلك التزين وتجميل المواقف والأحداث ويعطيها للأشياء الجامدة باستعارة واضحة :-

صَدَّ عَنِ الحقِّ اتّباعُ الهوى وزيَّنَ الباطلَ طولُ الأملْ (٢) .

فالهوى لا يصد بذاته عن الحق إلا بتصرّف الإنسان وكذلك الأمل لا يزين الباطل دون فعل الإنسان العاقل .

ويستعير فعل الرمي الدال على فعل حركة الإنسان ويعطيه للشيب :-

أنقضتْ شرّتي فعفتُ الملاهي ورمى الشيبُ مَفرقي بالدّواهي (٣) .

وهذه الصور الاستعارية دالة على غرض الزهد ، وللشاعر صور عديدة أخرى في أغراض متنوعة .

وللشافعي صور استعارية كثيرة ناقش بها فكرة مواساة الناس لبعضهم وعدم الخيانة والتواضع في الحياة منها تلك الصورة :-

ولا خير في ودّ امرئ متلوّن إذا الريح مالت ، مال حيث تميلُ (٤) .

وقد اعطى للريح ميلاً كما يميل الإنسان بحركة مقدرة ، فالريح تهب والريح تعصف لكنها لا تميل .

واستعار الشافعي المسالمة أو الميل للرياح وهي من سمات الإنسان المتواضع الزاهد في حياته غير المحب للكره والانتقام:

وسالمْكَ الليالي فاغترتَ بها وعندَ صفو الليالي يحدثُ الكدرُ (٥) .

ويستعير الخيانة للأيام وهي من فعل الإنسان وأعماله التي تنبعث من سوء تصرّف إذ قال :-

فإنْ كانتِ الأيام خانتْ عهودنا فاني بها راضٍ ولكنها قهرُ (٦) .

ويستعير الشافعي في صورة أخرى للقناعة رأساً من الإنسان وهو يدلل على أنّ رأس الغنى هو القناعة

١- زهديات أبي نواس ١٠٤ .

٢- نفسه ١١٥ .

٣- ديوان أبي نواس برواية الصولي ٩٩٠ .

٤- الديوان ٧٠ .

٥- نفسه ٩٦ .

٦- نفسه ١٠٠ .

ويستعير لها ذيلاً من الحيوان وهو يجمع بذلك استعارتين رائعتين في بيت واحد :-

رأيتُ القناعة رأسَ الغنى فصرتُ بأذيالها متمسك* (١) .

وحين يتحدث الشافعي عن التقوى علامة من علامات الزهد يستعير لها يداً :-

توخّى الهوى واستنقذتْهُ يد التقى من الزيغ انّ الزيغ للمرء صارعُ (٢) .

والشاعر محمد بن كناسة استعارَ الفطامَ من الطفلِ وأعطاهُ إلى النفس وهو يعجب من الدّنيا والإنسان غير المستقر :-

إذا اعتادتِ النفسُ الرّضاعَ عن الهوى فإنّ فطامَ النفس عنه شديدُ (٣) .

وكز أبو العتاهية على الصورة الاستعارية فقد قال في وصف الشيب

أمّا المشيبُ فقدْ كساكَ رداءَهُ وابْتَزّ عن كتفيكَ أثوابَ الصّبا (٤) .

فالشاعر يستعير للشيب رداءً من الإنسان ويدل عليه في عجز البيت مشيراً إلى الأثواب التي يحددها بالزمن (الصبا) فترة مهمة في عمر الإنسان وفي استعارة أخرى يأخذ أبو العتاهية من الإنسان الكلام وينسبه إلى الزمن قائلاً :-

ولقدْ يُكلمُكَ الزمانُ بألسُنٍ عربيّةٍ وأراكَ لستَ تُجيبُ (٥) .

ويظهر في استعارته عجز الإنسان عن سماع الكلام من الزمن على الرغم من بثها بألسنة متعددة وقد بلغ به اليأس وتضاعف عندهُ الألم من نكبات الزمن .

ويستعير من الحيوان ذيله دالاً على خيبة الأمل عند الإنسان وكما يسحب الحيوان ذيلهُ جاراً إياه خلفه ، هكذا يكون الإنسان مصدّقاً للأمل :-

مالكَ مُذْ كُنتَ لاعباً مرحاً تسحَبُ ذيلَ السفاهِ والبَطَرِ (٦) .

---

* كذا في الأصل ولعله رضي مكسور .

١- الديوان ١٤٢ .

٢- نفسه ١٩٦ .

٣- محمد بن كناسة الاسدي ، حياته وشعره نصوص باقية من كتابه الأنواء ٣٠٨ .

٤- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ١٣ .

٥- نفسه ٢٧ .

٦- نفسه ١٣٨ .

وتظهر في صورته الاستعارية دلالة الاستهزاء من الإنسان الذي يسرح ويمرح بالسفاهات ، وحين ينصح أبو العتاهية الإنسان لفهم الدنيا والقبول بالكفاف منها والإقتناع بالقليل يدل على عدم امتلاكها لوازم الإنسان (اليد والضمير) فقد يرجع الشيء الى صاحبه ولو بعد فوات الاوان إذ قال :-

تبلّغ من الدّنيا و نلْ من كفافِها ولاتعتقد ها في ضميرٍ ولايدِ (١) .

ويأخذ الشاعر السيف من يد الإنسان ليقدمه للموت مستعيراً سيف المنيةِ ورماح الميدان المشرعة لقتل الإنسان ، إذ تشكل صورته الاستعارية تلك تأكيداً على الزهد والعظة في الحياة وعدم الفرح والغرور بما يتلقاه الإنسان والموت قادم :-

ألمْ ترَ أنَّ الموت يهتزُّ سيفُهُ و أنَّ رماحَ الموتِ نحوكَ تشرَعُ (٢) .

وتظهر الصورة الإستعارية واضحة في استعارة السيف من الإنسان ومنحه للموت

ولمحمود الوراق استعارات كثيرة لا مجال لذكرها ، فقد استعار الوراق إلى الدهر لباساً وهو من لوازم الإنسان :-

والبس الدهر على علاّته تجد الدهر مليئاً بالعجائبْ (٣) .

واستعار في صورة اخرى الدار من الإنسان وأعطاها للشيب :-

ولو أنّ دار الشيب قرّتْ بصاحبٍ على ضيقها لم تبغ داراً بداره (٤) .

وكلنا نعلم بأن الدار للإنسان وليس للشيب وهي لم تقر للإنسان فكيف تقر للشيب .

ومثلما أعطى أبو نواس الرمي الى الشيب فقد أعطاها الوراق للشيب ايضاً :-

أحين رمى سواد الرأس شيبٌ فغيره فزعتُ إلى الخضابِ (٥) .

١- أبو العتاهية أشعاره واخباره ١١٦ .

٢- نفسه ٢١١ .

٣- ديوان الوراق ٤١ .

٤- نفسه ٧٨ .

٥- نفسه ٤٣ .

الوراق من الشعراء الزهاد وهو يكثر من القول في الزهد شأنه شأن ابي العتاهية والشعراء الزهاد الآخرين ومن قوله في الحلم وهو ينظر فيه الى قول تعالى ((وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)) * (١) لذ اجد الوراق مستعيراً للحلم رجلين وهو يأخذ هما من الإنسان :-

رجعتُ على السفيهِ بفضلِ حلمي ... فكان الحلمُ عنه لهُ لجاما
وظنَّ بي السفاهُ فلم يجرني ... أسافههُ وقلت لهُ سلاما
فقام يجرُّ رجليهِ ذليلاً ... وقد كسب المذلةَ والملاما (٢) .

فالحلمُ لا يجرّ رجليه وهذا من احسن الصور الإستعارية ، ويستعير أيدي الإنسان ويعطيها للفقر مؤكداً على إعتبار الفقر في الحياة وعدم تنازله عن كرامته :-

وكم يدٍ للفقر عند امرئ ... طأطأ منه الفقر حتى اقتصدْ (٣) .

وتظهر الأستعارة واضحة في رسم صورة اليد للفقر .

وهكذا يعطي الوراق للبخل سرعة وهي من حركات الإنسان فالسرعة لايملكها البخل وإنما يملكها البخيل وهي إستعارة واضحة :-

ويُسرعُ بخلُ المرءِ في هتكِ عرضهِ ... ولمْ أرَ مثلَ الجودِ للعرضِ حابسا (٤) .

وقد استعار الوراق صفات الإنسان ومنحها للشيب فالمعروف أن الحيلة من سمات الإنسان ولكن الشيب ليس له حيلة وقد وردت في قوله :-

وما لطفت للشيبِ حيلةُ عالمٍ ... على الدهر ألاحيلة الشيب ألطف (٥) .

---

* سورة الفرقان ٦٣ .

١- ينظر اتجاهات الشعر العربي ٣٠٦ .

٢- الديوان ١١٦ .

٣- نفسه ٥٧ .

٤- نفسه ٨٢ .

٥- نفسه ٩٣ .

٣-الصورة الكنائية :- أدرك العرب فكرة التراصف التي تقوم عليها الكناية عندما عرّف عبد القاهر الجرجاني الكناية بقوله ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود فيومي إليه ويجعله دليلاً عليه)) (١) .

ويشير تعريف الجرجاني إلى لغة الكناية تلك العلاقة الكلية التي تنشأ بين طرفي الكناية ، والكناية اقرب إلى الحقيقة حين لاحظ بان بناء الصور أساساً قائم على الانزياح .

والكناية اصطلاحاً تعني ((لفظ أُريدَ به غير معناه الذي وضعَ لـــه مع جواز إدائه المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من أرادته نحو طويل النجاد يراد بهذا التركيب انه شجاع عظيم فعدل عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة اليها بشيء)) (٢) .

وتنقسم الكناية بحسب المعنى إلى ثلاثة أقسام :-

أ- كناية عن صفة وتعرف بذكر الموصوف ملفوظاً أو ملحوظاً .

ب- كناية عن موصوف وتعرف بذكر الصفة مباشرة أو ملازمة .

ج- كناية عن نسبة أمر لأخر اثباتاً أو نفياً فيكون المكنى عنه نسبة .

وقد وجدت في غرض الزهد عند شعراء القرن الثاني الهجري كنايات كثيرة ومتنوعة منها ما جاء في قول صالح بن عبد القدوس مكنياً عن صفة الشح والبخل التي يرى فيها الناس وكأنهم يعيشون ازدواجية في حياتهم فالبخل لا يلتقي أبداً مع العطاء في قوله :-

إني لأكثر مما سمتني عجباً يد تشح وأخرى منك تأسوني (٣) .

وقد ظهرت الكناية عن صفة في قوله (يد تشح) .

أما الشاعرة ريحانة المجنونة فقد كنت عن موصوف في قولها :-

والقلب فيه ان تنفس في الدجى بسهام لوعات الهوى مجروحُ (٤) .

فالموصوف هو العاشق الذي حمل من عذابات حبه وجروحه الكثير .

١- دلائل الأعجاز ، ت محمد عبد المنعم خفاجي ٥٢ .

٢- جواهر البلاغة في المعاني ، السيد احمد الهاشمي ٣٦٠ .

٣- الديوان ١٤٠ .

٤- عقلاء المجانين ١٤٧ .

ويؤكد الشاعر أبو نواس على الكناية أيضاً في وصف الدنيا التي تغر الناس وتبدو لهم عروساً يكني قائلاً

ألا إنما الدّنيا عرُوسٌ ، وأهلُها اخو دعَةٍ فيها ، وآخرُ لاعبُ (١) .

والكناية هنا عن صفة الأغراء (عروس) تبهر الرائي لها ، وقد ينقسم الناس إلى صنفين من يغتر بجمالها وينخدع بمظهرها المؤقت ومن يحسب لها حساباً .

ويكني عن صفة الفتوة و اللهو و الملذات و شدة الانغماس بالدنيا حين يبلغ به الشيب أمراً قائلاً :-

انْقضَتْ شرَّتِي فعفّتْ الملاهِي ورمَى الشَّيْبُ" مفرقي بالدَّواهي (٢) .

وتأتي الكناية عن موصوف عندهُ أيضاً وهو يصف الشخص الذي يكنيه (ابن سوء) وقد يبحث عن مصالحه ومآربه دون البحث عن الصلاح قائلاً

فذاك ابن سوءٍ لا يرى لعشيرةٍ صلاحاً ولايُعطى اللواء فيرأس (٣) .

وقد ذكر صفة ابن السوء مباشرة ونفى عنه صلاح الأمر ، ويكني عن موصوف آخر وهو الشيء الثمين (الدر) قائلاً .

ألم ترَ جوهرَ الدّنيا المصفّى ومخرجَه من البحْر الأجاجِ ؟ ! (٤) .

مؤكداً في كنايته عن الموصوف بأنه غالي الثمن لا يأتي للإنسان بسهولة بل يجب أن يغور عليه في أعماق البحر .

ويكني الشافعي عن موصوف هو الشيب علامة الشؤم قائلاً :-

أيا بومة قد عششتْ فوق هامتي على الرغم مني حين طار غرابها (٥) .

فالكناية عن موصوف (الشيب) .

وقوله أيضاً مكنياً عن انقطاع الأمل عنده وهو يجمع الاستعارة التصريحية مع الكناية :-

فجردتُ من غمدِ القناعةِ صارماً قطعتُ رجائي منهم بذبابه (٦) .

١- الديوان ت الغزالي ٦١٦ .
٢- الديوان برواية الصولي ٩٩٠ .
٣- نفسه ٩٨٣ .
٤- الديوان ت الغزالي ٦١٠ .
٥- ديوان الشافعي ٢٩ .
٦- نفسه ٤٠ .

فالكناية عن صفة الرضا (غمد القناعة) .

أما الشاعر محمد بن كناسة فقد جاءت كناياته مؤكّدة على الصفة في أمثلة كثيرة منها قوله :-

إذا اعتادتِ النّفسُ الرّضاعَ من الهوى فإنّ فطام النّفس عنه شديدُ (١) .

وتظهر صفة الصبر كناية عن ردع النفس عن المعاصي واضحة وقد عرفت بذكر الموصوف ملفوظاً (الرضاع) وهي صفات ملازمة للإنسان عند طفولته

وفي قوله يكني عن صفة متكررة :-

معاشي دوين القوت ، والعرضُ وافرٌ وبطنيَ عن جدوى اللئام خميصُ (٢) .

فكنى عن صفة تحمل الجوع وعدم طلب القوت حين يكون العرض سالماً من العيوب وأن الجوع افضل من مد اليد إلى اللئام .

ويكنى ابن كناسة عن العمر والشيب في قوله :-

على حينَ أنْ شابتْ لداتي ولم أشبْ فمنْها لِحَىً مُبيضّةٌ وقُرونُ (٣) .

فان صفة بياض الشعر وانتشار الشيب في اللحية تدل على معنى ملفوظ (لِحَىً مُبيضّةٌ) .

أما الشاعر كلثوم بن عمرو العتابي فيكنى عن موصوف مشيراً إلى اللذة التي يتعلق بها بعض الناس :-

وَجَدْتُ لذاتِ الحياةِ مَشُوبَةً بمستودعات في بطون الاساودِ (٤) .

وكنى العتابي عن صفة الشيب قائلاً :-

ولم اتفجع في بقايا شبيبةٍ جنيت بما فيها عليَّ الدواهيا (٥) .

١- محمد بن كناسة الأسدي حياته وشعره نصوص باقية من كتابه الأنواء ٣٠٨ .

٢- نفسه ٣١١ .

٣- نفسه ٣١٧ .

٤- العقد الفريد ٣/٢٠٨ .

٥- العتابي حياته وما تبقى من شعره ٤٢١ .

ومن الكناية ما جاء في قول أبي العتاهية ذلك القول الطريف الذي يركز على ترك التصريح إلى التلميح مشيراً إلى ذلك الإنسان غير القنوع بما لديه مكنياً عن صفة :-

تَبْغي مِنَ الدُّنْيا الكَثيرَ وإنَّما ... يَكْفيكَ مِنْها مِثْلُ زادِ الرّاكِبِ (١).

وقوله في مقارعته الدهر وتحمل مصاعبه الكثيرة مكنياً عن صفة عدم صفاء الدهر له مهما كان زاهداً صابراً على أذاه :-

إنّي حَلَبْتُ الدَّهْرَ أشْطُرَهُ ... فَرَأيْتُهُ لَمْ يَصْفُ لي حَلَبُهْ (٢).

وقد وردت عنده كناية عن موصوف مخاطباً ملك الموت الذي لا مفر من قدومه على الإنسان فهو مفرّق الجماعات :-

أيا هادِمَ اللّذّاتِ ما مِنْكَ مَهْرَبٌ ... تُحاذِرُ نَفْسي مِنْكَ ما سَيُصيبُها (٣).

وقد ذكر صفة هدم اللذات وهي الموت ملازمة لمن يقوم بهدم اللذات ولم يقل الموت، ومثله قوله :-

بِيَدِ الفَناءِ جَميعُ أنْفُسِنا ... وَيَدُ البِلى فَلَها الّذي يَبْنى (٤).

لقد كنى عن موصوف ملازم لليد البلى والفناء وهو الموت ، وقد كناه بصاحب يد تأخذ النفوس إلى نهاية محتومة ومقدره .

وحين يكني عن الذين هجروا الزهد وابتعدوا عنه واتخذوا من الزمن مطية لهم وقد فاتهم تذكر لعبة الزمن وعدم ميله إلى أحد فقد استخدم كناية :-

يا ذا الّذي اتَّخَذَ الزَّمانَ مَطِيَّةً ... وَخَطا الزَّمانُ كَثيرَةَ العَثَراتِ (٥).

ويكني محمد بن حازم الباهلي ، عن صفة الدهر الذي عميت عيناه ونواظره عن الإنسان حين تكررت نوائبه ومصائبه :-

---

١- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٤٣ .

٢- نفسه ٤٩ .

٣- نفسه ٤٨ .

٤- نفسه ١٠ .

٥- نفسه ٥٧ .

والدهرُ قد طرفت عنّا نواظرهُ فما تروّعنا الأحداثُ والنوب (١) .

وتظهر الكناية في قوله (طرفت نواظرهُ) صفة لغلق العين وعدم الرؤيا الواضحة .

وحين يصف الباهلي اعتداده بذاته يكني عن صون الوجه صفة لكرامة الإنسان وعدم سكب ماء كرامته رخيصاً :-

لعمرك ، للقليلُ أصونُ وجهي به في ألا وحدين وفي الجميع (٢) .

ويكني عن صفة أخرى وهي جمع المال :-

فتىً كنزَ الأموالَ تحت عجانهِ إذا كنزَ الناسُ الندى والتكرّما (٣) .

وتظهر هنا صفة جمع المال مقارنة بين صفة يجتمع عليها غيره وهي الكرم وبذل المال والعطاء .

ويكني الشاعر محمود الوراق عن صفة التيه وعدم الاتـزان في قوله كحاطب ليل :-

راكب ردعه كحاطب ليل يخطئ الأمر كله أو يصيبه (٤) .

ويجمع الوراق كنايتين عن صفة وموصوف في قوله :-

فاجاك من وفد المشيب نذير والدهر من أخلاقه التغيير (٥) .

فقد كنى عن الموصوف (الشيب) فهو النذير الذي يعلن عن قرب الأجل وعن صفة تقلب الدهر وعدم ثباته في تغيرات مستمرة فهي من أخلاق الدهر .

ويكني عن موصوف (الموت) في قوله :-

ألم تعلم وفرط الجهل أولى بمثلك انه كفن الشباب (٦) .

وتظهر الكناية واضحة في قوله (كفن الشباب) وهو يذكر موصوفاً غير مباشر بل يذكر لازمة هي (الكفن) .

وقد كنى الوراق عن نسبة واضحة إذ قال :-

١- ديوان محمد بن حازم الباهلي ١٩٨ .

٢- نفسـه ٢٠٥ .

٣- نفسـه ٢٠٩ .

٤- الديـوان ٣٧ .

٥- نفسـه ٦٩ .

٦- نفسـه ٤٢ .

وليس يذود النفس عن شهواتها من الناس الا كل ماضي العزائم (١) .

ويكني الشاعر بشر بن الحارث عن موصوف في قوله :-

من كانت الدنيا به برة فانها يوماً له ذابحه (٢) .

ويظهر الموصوف شر الدنيا وغدرها فقد يظنها المرء بارة به لكنها سرعان ما تغدر به ولم يصرح بصفة الغدر مباشرة .

وبدت تلك الكنايات التي وردت عند الشعراء مركزة على صور كنائية استعانت بالاستعارة من اجل تحقيق غرضها لذلك فان تلك الاستعارات كانت بمثابة صور جزئية لصور كنائية متنوعة ، وارى ان صفوة القول في دلالة الصورة الشعرية لدى شعراء الزهد قد اتسمت بالبساطة والسهولة بعيدة عن الغموض والتكلف وعلى راسهم ابو العتاهية .

وختاماً كان متفوقاً على الشعراء لا سيما وهو يصوّر الأمور لها بطون وظهور وأن للزمان تقلبات تعبث بها الأقدار كما تعبث بالغصون الرياح ، والصور التي وردت عندهم ليست معقدة بل غنية بعناصر الخيال التي تدع القارئ يعيش في جوّها ويسبح في تصوّرها وتنوعت عندهم الجوانب البلاغية وتعددت مصادر صورهم بين البيئة والثقافة مع تنوع أنماط تلك الصور .

١- الديوان ١١٨ .

٢- حلية الأولياء ٨/٣٤٦ .

الفصل الرابع

الموسيقى الشعرية

الموسيقى الشعرية

الموسيقى :- عنصر مهم من عناصر العمل الشعري ، وقد أكّد ابن رشيق القيرواني ذلك واصفاً إياها ((اعظم أركان حدّ الشعر واولاها خصوصية)) (١) .

وكلّنا نعلم بأنّ الوزن هو الفارق الأساس بين الشعر والنثر وبدونه

((نرى لغة الشعر تنحط تدريجياً إلى ما يسمى بلغة نثر)) (٢) .

وما دامتْ القصيدة العربية بناءً جمالياً متكاملاً يقوم على أسس قوامها وحدة الوزن والقافية لذا قسّم الباحثون بحور الخليل إلى طويلة ومتوسطة وقصيرة

((البحور الطويلة اكثر شيوعاً في شعر العصرين الجاهلي والأموي من غيرها من البحور ، وعندما جاء العصر العباسي بدأ الشعراء ينظمون على الأوزان القصيرة والمجزوءة التي اختلف الدارسون في مصدرها)) (٣) .

لذا قيل حديثاً ((للشعر نواحٍ عدّة للجمال أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ والانسجام في توالي المقاطع وتردّدُ بعضها بقدر معين منها ، وكل هذا ما نسميه بموسيقى الشعر)) (٤) .

وقال أحد الباحثين ((الشعر موسيقى تحولّتْ فيها الفكرة إلى عاطفة)) (٥) .

ورآها باحث آخر ((وعاء الشعر منذُ أن كان الشعر بل أنها سبقتهُ كما سبقتهُ نشأة اللغات ذاتها حين كان الإنسان ينغم أصواته البهمة ليحملها حاجاته وأحاسيسه ...)) (٦) .

والموسيقى تعني ((الطاقة الموسيقية المتمثلة بالأوزان والقوافي وهي إحدى الطاقات الفنية في الشعر ولها اثر في الأداء وفي قوة الأسلوب والعبارة)) (٧) .

١- العمدة ١/١٣٤ .

٢- قواعد النقد الأدبي ، لاسل كرومي ٤٤ .

٣- أبو الفرج البغاء أديباً ، ويس خضر البدري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٨٨/٩٨ .

٤- موسيقى الشعر العربي ، د . إبراهيم أنيس ٩ .

٥- الأسس النفسية للإبداع الفني ، د . مصطفى سويف ١٧ .

٦- موسيقى الشعر العربي ، د . نعمان القاضي ١٧ .

٧- الفن والأدب ، د مشال عاصي ٩٩ .

وإزاء هذا التقديم عن المفهوم والوظيفة ،كان بحثي يدور في عصر زاخر بالمواهب والإبداع والمنافسات الشعرية وفيه كبار الشعراء المعروفين مثل أبي العتاهية وأبي نواس والوراق وغيرهم ، فلا بدّ أنْ يسيروا على خطى أسلافهم ومعاصريهم من أعلام الشعر العربي .

ولعلّ تعريف الناقد العربي قدامة بن جعفر خير دليل على أهمية الموسيقى إذْ قال معرفاً الشعر ((قولٌ موزون مقفى يدل على معنى)) (١) .

وهذا القول يعدّ إشارة أولى دالة بوضوح على أهمية موسيقى الشعر فالوزن والقافية ((ركنان مهمان في الإبداع الشعري وبهما يتحقق ما يسمى اليوم بالإيقاع الشعري)) (٢) .

والى تلك الأهمية قديماً وحديثاً لابدّ أنْ ادرس الظاهرتين (الوزن والقافية) دراسة مستفيضة لا سيما وأنني ادرس عدة شعراء يجمعهم غرض واحد هو الزُهد وما هذا الغرض من جانب نفسي يدل على التأمل وعلم الضجيج والصراخ فقد ينعكس على شخصية الشاعر بما في هذا الغرض من هدوء واطمئنان وهذا بدوره ينعكس على الموسيقى خاصةً في القرن الثاني الهجري ، ما فيه من أوج الإبداع وقوة التأليف وشدّة المنافسة بين شعراء يضمهم عصر واحد له سماته وآفاقه الفنية زدْ إلى ذلك أنّ تضمّ أوزان شاعر معيّن وانسجامها مع أوزان شاعر آخر يحتاج إلى دراسة مقارنة بينهما وهذا يتطلّب وقتاً وجهداً خاصةً وأنني لا ادرس شاعراً واحداً أو شاعرين ليسهل الأمر بل ادرس الكثير من الشعراء ويمكنني دراسة الموسيقى في قسمين :-

١- الموسيقى الخارجية :- تتمثل في

أ- الوزن .

ب- القافية .

٢- الموسيقى الداخلية :- تتمثل في

أ- ظاهرة التكرار .

ب- ظاهرة رد العجز على الصدر .

ج- ظاهرة الترصيع .

ء- ظاهرتا الجناس والطباق .

١- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ١٧ .

٢- عبد الأمير الحصيري - دراسة في حياته - . فاضل عبود خميس ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة

١ – الموسيقى الخارجية :–

أ– الوزن :–أنّ دارس الموسيقى الشعرية لابد أن يدرس ثلاث ظواهر مهمة :–

(الوزن ، الإيقاع ، القافية) .

وقد أكّد الباحثون على تلك العلاقة بين الموضوع والوزن الشعري ومدى ملائمته للحالة النفسية للشاعر وقد ذهب بعضهم إلى أن البحر الّذي لا يصلح لموضوع ما قد يصلح لغيره حيثُ تتعدد أغراض الشعر كما أشار القرطاجني ((ولما كانت أغراض الشعر شتّى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة ومنها ما يقصد به التفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير وجب أنْ تحاكى تلك المقاصد وما يناسبها من الأوزان ويجلبها للنفوس ، مادامت صفات الأوزان المتقلة تشاكل في تعددها أغراض الشعر فمن الطبيعي أنْ يعبّر كل غرض منها بالوزن الّذي يشاكله)) (١) .

وقد قال الباحثون المحدثون بأنّ ارتباط الوزن بالمعنى واختلاف البحور باختلاف المعاني ومنهم الكثير ..... (٢) .

لذا باتَ عليّ أنْ ابدأ بالظاهرة الأولى (الوزن) الّذي هو القسم الأول من الموسيقى الخارجية ثم ادرس (القافية) القسم الثاني منها وحين انتهي من هذين القسمين ادرس الموسيقى الداخلية الّتي تتمثل في ظاهرة التكرار ، وظاهرة رد العجز على الصدر ، وظاهرة الترصيع ، وظاهرتا الجناس والطباق .

لقد ذهب الدكتور عبدالله الطيّب إلى ((أن اختلاف أوزان البحور يعني اختلاف الأغراض الشعرية فلكل معنى ما يناسبه من البحور)) (٣) .

ولابدّ أنْ اقف عند رأي الدكتور هدارة حين قال :–

((ولإمكان الملاءمة بين الأوزان والموضوعات الجديدة الّتي يصوّر اغلبها جوانب من حياة العبث والجنون الّتي كان يحياها المجتمع في القرن الثاني)) (٤) .

١– منهاج البلغاء وسراج الأدباء ٢٦٧ .

٢– ينظر النقد الأدبي ، احمد أمين ٩٠ ... وموسيقى الشعر العربي/ ١٧٧ .

٣– المرشد إلى فهم أشعار العرب ١/ ١٤ .

٤– اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني ٥٣٧ .

ولاحظتُ أن غرض الزهد كان يحتلُّ حصة الأسد بين تلك الأغراض الجديدة ولا بدَّ أنَّ تتبع أوزانه تبعًا لموضوعات الشعراء .

لذا تكشف تلك الدراسة عن موسيقى أشعارهم التي تفصح عن تعاليمهم وميادينهم ببعض الأوزان دون غيرها (١) .

وشعراء الزهد في اغلب أشعارهم محافظون على دائرة العروض الخليلية سائرين على نهج أسلافهم ومعاصريهم من أعلام الشعر العربي ، ولكي اقف على طبيعة استخدام الشعراء للأوزان عملتُ جداول لكلٍّ من الشعراء :-

١- عبدالله بن المبارك .
٢- أبو نواس .
٣- محمد بن كناسة .
٤- أبو العتاهية .
٥- محمد بن حازم الباهلي .
٦- محمود الوراق .

وزعتُ فيها شعرهم الزهدي على الأوزان فجاءت على النحو الآتي :-

١- ينظر المرشد الى فهم أشعار العرب ١/ ١٩٢ .

جدول رقم (١)

جدول الأوزان في شعر عبدالله بن المبارك

ت	البحـــــر	عدد النصوص
١	الكامل	٥
٢	المتقارب	٤
٣	البسيط	٤
٤	الطويل	١
٥	السريع	١
٦	الرمل	١
		١٠٦

جدول رقم (٢)

جدول الأوزان في ديوان أبي نواس ، برواية الصولي

ت	البحر	عدد النصوص
١	مجزوء الرمل	٤
٢	الطويل	٣
٣	السريع	٢
٤	الخفيف	٢
٥	الوافر	٢
٦	البسيط	١
٧	الكامل	١
٨	المنسرح	١
٩	مجزوء الخفيف	١
١٠	المجتث	١

جدول رقم (٣)

جدول الأوزان في شعر محمد بن كناسة جمعه الدكتور محمد قاسم مصطفى *

ت	البحر	عدد النصوص
١	الطويل	٦٩
٢	الكامل	٢٠
٣	البسيط	١
٤	الوافر	١
٥	الرمل	١
		١١٢

* محمد بن كناسة حياته وشعره نصوص باقية من كتاب الأنواء ، مجلة اداب الرافدين كلية الاداب جامعة الموصل / ١٩٧٥م .

جدول رقم (٤)

جدول الأوزان في ديوان أبي العتاهية

ت	البحر	عدد النصوص
١	الطويل	٩٢
٢	الكامل	٦٩
٣	البسيط	٤٤
٤	مجزوء الكامل	٣٦
٥	الخفيف	٣٠
٦	الوافر	٢٨
٧	السريع	٢٧
٨	المنسرح	٢١
٩	الرمل	١٤
١٠	المتقارب	١٤
١١	مجزوء الرمل	٦
١٢	الهزج	٣
١٣	المديد	٧
١٤	مجزوء الوافر	٦
١٥	مجزوء الخفيف	١
١٦	مخلع البسيط	٢
١٧	المجتث	٢
١٨	الرجز	١
		٤٠٣

جدول (رقم (٥)

جدول الأوزان في ديوان محمد بن حازم الباهلي جمعه شاكر العاشور *

ت	البحر	عدد النصوص
١	البسيط	٩
٢	الطويل	٦
٣	الوافر	٢
٤	المنسرح	٢
٥	المتقارب	٢
٦	المجتث	٢
٧	الكامل	١
٨	مجزوء الكامل	٢
٩	مجزوء الرمل	٢
		٢٨

* ديوان محمد بن حازم الباهلي ، مجلة المورد الجمهورية العراقية المجلد السادس العدد الاول / ١٩٧٧م .

جدول رقم (٦)

جدول الأوزان في ديوان محمود بن حسن الوراق

ت	البحر	عدد النصوص
١	الطويل	٢٥
٢	الكامل	١٥
٣	الوافر	١٤
٤	السريع	١٢
٥	المتقارب	١١
٦	البسيط	٩
٧	الخفيف	٩
٨	المنسرح	٢
٩	الرمل	٢
١٠	مجزوء الكامل	٥
١١	مجزوء الرمل	٥
١٢	مجزوء الخفيف	٢
١٣	مجزوء الوافر	١
١٤	مجزوء المتقارب	١
١٥	مجزوء الرجز	١
١٦	مخلع البسيط	٢
		١١٦

أما بقية الشعراء فلا حاجة لمعرفة أوزانهم لأن أبياتهم في الزهد قليلة فلا تتعدى البيتين ومنهم إبراهيم بن أدهم وسفيان الثوري وسعدون المجنون ... وهكذا فقد استخدم شعراء الزهد الأوزان الطويلة ذات الموسيقى الرصينة الهادئة التي تتلاءم مع جزالة الأسلوب وتدفق العاطفة ، واحتل البحر الطويل المرتبة الأولى في شعرهم الزهدي لأن هذا البحر كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس :-

((قد نظم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي وانه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم ولا سيما في الأغراض الجدية الجليلة الشأن)) (١) .

وفي دراستي لأوزان الشاعرين أبي نواس وأبي العتاهية استفدت من أطروحة الباحث الدكتور جمال نجم العبيدي التي بذل فيها جهداً طيباً فجزاه الله ووفقه على عمله هذا (٢)

---

١ – موسيقى الشعر ١٩١ .

٢ – ينظر لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

ب — القافية :-

تعد القافية ((قوام الشعر وملاكه واظهر سماته واشرف أجزائه)) (١)

والقافية ((شريك الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية)) (٢) .

وفي العصر الحديث عرفها الدكتور ابراهيم أنيس :-

((عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات في القصيدة وتكرارها هذا يكون جرساً خاصاً من الموسيقى الشعرية فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن)) (٣) .

ولأني ادرس الكثير من الشعراء فلابد أن تتعدد وتتنوع أوزانهم وقوافيهم ولو قلت ان ديوان ابي العتاهية لوحده يحتاج إلى دراسة تفصيلية في القوافي لما كنت مخطئة ، ولكنني سوف أعطي خلاصة موجزة عن آفاق القافية وفي غرض الزهد عند هؤلاء الشعراء فلقد حرص كل من الشعراء المذكورين في بحثي هذا على اختيار حرف الروي المناسب لقصائدهم ومقاطعهم وان قلت او كثرت الأبيات وقد أجاد نفوراً في بعض أبياتهم فهذا قليل جداً قياساً إلى القوافي الرائعة .

ولمعرفة حرف الروي لقوافي شعراء الزهد في القرن الثاني الهجري قمت بإحصائية لكل من الشعراء :-

١ — عبدالله بن المبارك .
٢ — أبو نواس .
٣ — اشجع بن كنانة .
٤ — ابو العتاهية .
٥ — محمد بن حازم الباهلي .
٦ — محمود بن حسن الوراق .

فجاءت على النحو الآتي :-

---

١ — مفهوم الشعر ، د . جابر عصفور ٤٠٧ .
٢ — العمدة ١٥١/١ .
٣ — موسيقى الشعر ٢٤٦

جدول رقم (١) .

جدول حرف الروي في قوافي شعر عبدالله بن المبارك

ت	الحروف	عدد النصوص
١	الباء	٢
٢	الدال	١
٣	الراء	٢
٤	اللام	١
٥	الميم	١
٦	النون	٤
٧	الهاء	٤
٨	الواو	١
		١٦

جدول رقم (٢)

جدول حرف الروي في ديوان أبي نواس ، برواية الصولي

ت	الحروف	عدد النصوص
١	الهمزه و الألف	١
٢	الباء	١
٣	الحاء	١
٤	الراء	٣
٥	السين	١
٦	القاف	٢
٧	الكاف	١
٨	الميم	٢
٩	النون	٢
١٠	الواو	١
١١	الهاء	٣

جدول رقم (٣)

جدول حرف الروي في الشعر محمد بن كناسة الأسدي جمعه الدكتور محمد قاسم مصطفى

ت	الحروف	عدد النصوص
١	الباء	١
٢	التاء	١
٣	الدال	٢
٤	الصاد	١
٥	القاف	١
٦	الميم	٢
٧	النون	٢
٨	الهاء	١
		١١

جدول رقم (٤)

جدول حرف الروي في ديوان أبي العتاهية الخاص بغرض الزهد

ت	الحروف	عدد النصوص
١	الهمزه و الألف	١٠
٢	الباء	٣١
٣	التاء	٣٥
٤	الثاء	١
٥	الجيم	٦
٦	الحاء	٤
٧	الدال	٢٦
٨	الذال	١
٩	الراء	٤٨
١٠	السين	١٣
١١	الشين	١
١٢	الصاد	١
١٣	الضاد	٩
١٤	الطاء	٢
١٥	الظاء	١
١٦	العين	٢١
١٧	الغين	١
١٨	الفاء	٦
١٩	القاف	١٦
٢٠	الكاف	٢٢
٢١	اللام	٥٤
٢٢	الميم	١٩

جدول رقم (٤)

جدول حرف الروي في قوافي ديوان أبي العتاهية الخاص بغرض الزهد

ت	الحروف	عدد النصوص
٢٣	النون	٤٤
٢٤	الهاء	٢٠
٢٥	الياء	٨
		٤٠٣

جدول رقم (٥)

جدول حرف الروي في قوافي ديوان محمد بن حازم الباهلي جمعه شاكر العاشور

ت	الحروف	عدد النصوص
١	الباء	٢
٢	التاء	١
٣	الدال	١
٤	الراء	٤
٥	السين	٣
٦	العين	٤
٧	الفاء	١
٨	اللام	٥
٩	الميم	٢
١٠	النون	٣
١١	الهاء	٢
		٢٨

جدول رقم (٦)

جدول حرف الروي في قوافي ديوان محمود بن حسن الوراق

ت	الحروف	عدد النصوص
١	الهمزه و الألف	٤
٢	الباء	١٤
٣	التاء	٦
٤	الجيم	١
٥	الدال	٩
٦	الراء	٢٥
٧	السين	١
٨	الصاد	٢
٩	الضاد	١
١٠	العين	٤
١١	الفاء	٢
١٢	القاف	٢
١٣	الكاف	٣
١٤	اللام	١٧
١٥	الميم	٩
١٦	النون	٩
١٧	الهاء	٤
١٨	الواو	١
١٩	الياء	٢
		١١٦

أما بقيـــة الشعراء فلا حاجة لمعرفـة حروف الروي لقوافيهم لان اجيالهم في الزهد قليلـة لا تتعدى البيتين ويمكن القـول ان شعراء القرن الثاني تقليديون في القافيـة فهم يكثرون من الحروف شائعـة الاستعمال في قوافيهم .

فالشاعر عبدالله بن المبارك قد نوع في قوافيه .

أما الشاعر ابو نواس فقد درستي لحروف الروي لقوافيه استفدتُ من اطروحة الباحث الدكتور جمال نجم العبيدي (١) .

الذي قدم جدولاً مرتباً بالقوافي للشعراء الذين درسهم وما يهم بحثي هذا .

وجاءت عنده ألف الإطلاق كثيرة من مثل قوله :-

لا تَقْزَعُ النفسُ عن شُغْلٍ بِدُنْيَاهَا ... رأيُتُها لم ينلها من تمنّاها (٢) .

أما الشاعر محمد بن كناسة فقد نوّع في قوافيه أيضاً واستخدم حرف النون مع الهاء المطلقة من مثل قوله :-

أما بقية الشعراء فلا حاجة لمعرفة حروف الروي لقوافيهم لان اجيالهم في الزمان قليلة لا تتعدى البيتين ويمكن القول أن شعراء القرن الثاني تقليديون في القافية فهم يكثرون من الحروف شائعة الاستعمال في قوافيهم .

فالشاعر عبدالله بن المبارك قد نوع في قوافيه .

أما الشاعر أبو نواس ففي دراستي لحروف الروي لقوافيه استفدتُ من اطروحة الباحث الدكتور جمال نجم العبيدي (١) .

الذي قدم جدولاً مرتباً بالقوافي للشعراء الذين درسهم وما يهم بحثي هذا .

وجاءت عنده ألف الإطلاق كثيرة من مثل قوله :-

لا تَقْرَعِ النفسُ عن شُغْلٍ بِدُنْيَاهَا ... رأيتها لم ينلها من تمنّاها (٢) .

أما الشاعر محمد بن كناسة فقد نوّع في قوافيه أيضاً واستخدم حرف النون مع الهاء المطلقة من مثل قوله :-

أرى المرءَ دِينًا للمنايا ، ومالها ... مطالٌ إذا حلت بنفسٍ ديونها (٣) .

ومن خلال الإحصائية في ديوان أبي العتاهية وجدت أبا العتاهية يشغل إمكانياته الموسيقية في القوافي المطلقة فيتبعها بألف الإطلاق كما في قوله :-

أمَا المشيبُ فقد كساكَ رداءَهُ ... وابْيَضَّ عَنْ كَتَفَيْكَ ثوبُ الأصْيَلِ (٤) .

وفي تأكيده على ألف الإطلاق في قوافيه دليلٌ على إعطاء قصائده نوعاً من المد في الصوت واتاحة الفرصة لنشاد شعره أو مغنيه ان يملأ هذا الصوت ويؤثر في السامعين ، وقد كتب أبو العتاهية في القوافي القائمة على الحروف النافرة اضطراراً لعدم توفر المفردات الكثيرة مثل حرف العين لقلة الكلمات المستعملة في اللغة والمنتهية بحرف العين ولعدم وجود كلمات كثيرة اضطر الى كتابة مقطوعات قليلة

---

١ – ينظر لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ٢٩٩ .

٢ – ديوان أبي نواس ، برواية الصولي ٩٨٨ .

٣ – محمد بن كناسة الاسدي ، حياته و شعره نصوص باقية من كتاب الأنواء ٣١٩ .

٤ – أبو العتاهية اشعاره واخباره ١٣ .

تتناسب مع تلك القوافي كما قوله :-

أبلغ الدّهرُ في مواعظه بلْ ... زادَ فيهنّ لي على الإبلاغ
غبّنتني الأيّامُ عقلي ومالي ... وشبابي وصحّتي وفراغي (١) .

وقد جاءت تلك الأبيات على البحر الخفيف ولم أجد في شعر أبي العتاهية غير تلك الأبيات التي جاءت مختارة القوافي الصعبة النفر .

أما الشاعر محمد بن حازم الباهلي فقد يأتي عنده تكرار حرف الروي في قوله :-

واستغن عن كلّ ذي قربى وذي رحم ... إنّ الغنيّ من استغنى عن الناس
.....
فكيفَ أبتاعُ فقراً حاضراً بغنى ... وكيف اطلبُ حاجاتي من الناس (٢) .

ويظهر هنا انه كرر لفظة (الناس) .

أما الشاعر محمود بن حسن الوراق فقد جاءت ألف الاطلاق في قوله ذاما الدنيا :-

ذممتك أولاً حتى إذا ما ... بلوت سواك عاد اللوم حمدا
ولم أحمدك من خير ولكن ... رأيت سواك شراً منك جدّا (٣) .

وفي تكرار القافية وحرف الروي جاء قوله :-

قطع الدهر بأسباب العلل ... واغار السهم أيام الأجلْ
.....
ليتَه كان كما قال ولا ... يقطع الأيام ألا بالأجل (٤) .

١- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٢٣٧ .
٢- ديوان محمد بن حازم الباهلي ٢٠٤ .
٣- الديوان ٥٥ .
٤- نفسه ١١٢ - ١١٣ .

عيوب القافية عند شعراء الزهد :-

عدَّ ابن رشيق عيوب القافية قائلاً ((وما يجب أن يراعى في هذا الباب الإقواء والأكفاء و الإيطاء والإسناد والتضمين ، فانها من عيوب الشعر)) (١) .

وشعراء الزهد غالباً ليس لهم في قوافيهم الا عيب واحد هو الإيطاء ((الإيطاء إعادة القافية وذلك عيب وقد استعملته العرب)) (٢) .

وقال عبدالله الطيب ((اصطلح العلماء على جواز إعادة القافية بعينها بعد سبعة أبيات أو عشرة)) (٣) .

ونظير ذلك قول أبي نواس واصفاً الموت :-

الموتُ منّا قريبٌ ... وليْسَ عنّا بنازحْ
في كلّ يومٍ نعيٌ ... تصيحُ منه الصوائح
تشْجَى القلوبُ ، وتبكى ... مولّولاتُ النّوائح
حتّى متى أنت تلْهو ... في غفْلةٍ ، وثُمَازحْ ؟!
والموتُ في كلّ يوْمٍ ... في زنْدِ عيشكَ قادحْ
فاعملْ لسيوْمٍ عَبُوسٍ ... من شدّةِ الهوْلِ كالحْ
ولا يغرّنّكَ دنيا ... نعيمُها عنك نازحْ (٤) .

فقد كرر الشاعر كلمة القافية (نازح) بعد خمسة أبيات وإيطاء الشاعر مناسب للمقام وملائم للمعنى الذي سبقه .

أما الشاعر أبو العتاهية فلهُ ايطاءات كثيرة نظير ذلك قوله :-

١- العمدة ١/١٦٤ .

٢- الموشح ، المرزباني ٢٣ .

٣- المرشد إلى فهم أشعار العرب ١/٣٦ .

٤- الديوان ، ت الغزالي ٦١٤ .

مَنَّيْتَنا وَغَرَرْتَنـــا يا دارَ أربـــابِ الغُرور
بَلْ يا مُفَرِّقَةَ الجَميـــــع وَيا مُنَغِّصَـــةَ السّـــرور
أيْنَ الّذين تَبَدَّلـــوا حُفَراً يا فَنيـــــةَ وَدور
زُرْتُ القُبـــورَ فَحيلَ بَيْـــــن الزَّوْرِ فيها وَالمَزور
أ أخَيَّ مالَكَ ناسيـــاً يَـوْمَ التَّغابُن في الأمـــور
أفْنَيْتَ عُمْرَكَ في الرّوا ح إلـى المَلاعِبِ وَ البُكـــور
وَأمِنْتَ مِنْ خُدَعٍ تُصَـو رُ هـا الهَوَ ساوِسُ في الصُدور
وَعَلَيْكَ أعْظَمُ حُجَّـــةٍ فيمـــا تُعَدُّ مِـنَ الغُرور (١)

فقد كرر كلمة (الغرور) بعد ستة أبيات وايطاء الشاعر ليس بمكروه بل مناسب وملائم للمعنى .

وللشاعر ايطاءات كثيرة (٢) .

لمحمد بن حازم الباهلي ايطاءان الأول في قوله :-

واستغن عن كلّ ذي قربى وذي رحمٍ إنَّ الغنيَّ من استغنى عن الناس
فالرزقُ عن قدَرٍ يجري إلى أجلٍ في كفِّ لا غافلٍ عني ولا ناسي
فكيفَ أبتاعُ فقراً حاضراً بغنى وكيف أطلبُ حاجاتي من الناس (٣) .

وقد فصل بين الايطائين بيت واحد فكلمة (الناس) تستعمل في البيت الأول والثالث وايطاؤها ليس بمكروه بل ملائم للمعنى ومناسب للمقام .

أما الثاني ففي قوله :-

يُمسي ويُصبحُ بي عمرٌ الدفعهُ برزقِ ربيَ حتى ينفدَ الأجلُ
لا تمتهن أبداً خدّيكَ من طمعٍ فما لوجهكَ نورٌ حين يُبتذلُ
وابغِ المكاسبَ من أزكى مطالبها من حيثُ تُحمدُ ، حتى ينفدَ الأجلُ (٤) .

كذلك فصل بين الايطائين ببيت واحد فكلمة (الأجل) تستعمل في البيت الأول والثالث وايطاؤها ليس بمكروه بل ملائم للمعنى .

١- أبو العتاهية اشعاره وأخباره ١٦٦ .

٢- ينظر أبو العتاهية اشعاره وأخباره ، ١٦٠ - ١٦١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٣ - ٢٢٤ .

٣- ديوان محمد بن حازم الباهلي ٢٠٤ .

٤- نفسه ٢٠٧ .

وردت للشاعر الوراق ايطاءات كثيره منها :-

يُحِبُّ الفتى طولَ البقاء كأنّهُ ... على ثقةٍ أنّ البقاءَ بقاءُ
إذا ما طوَى يوماً طوَى اليومُ بعضَهُ ... ويَطويه - إنْ جنّ المساءُ - مَساءُ
زيادتُهُ في الجسْمِ نقصُ حَياتِهِ ... وأنّى على نقْصِ الحياةِ نَماءُ ؟
جَديدان لا يَبْقى الجميعُ عليْهما ... ولا لهما بَعْدَ الجميعِ بَقاءُ (١) .

فقد كرر الشاعر كلمة (بقاء) بعد بيتين والمعنى واحد وايطاء الشاعر ملائم للمعنى الذي سبقه .

وله إيطاء آخر كقوله :-

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... عليّ له في مثلها يجب الشكرُ
فكيف بلوغ الشكر ألا بفضله ... وان طالت الأيام واتصل العمرُ
إذا مس بالسراء عم سرورها ... وان مس بالضراء أعقبها الأجرُ
وما منهما الا له فيه نعمة ... تضيق بها الأوهام والبر والبحرُ
فيارب قد أحسنت عوداً وبداءة ... الي فلم ينهض بإحسانك الشكرُ (٢) .

فقد كرر كلمة (الشكر) بعد ثلاثة أبيات وايطاء الشاعر ملائم للمعنى الذي سبقه ، وللشاعر ايطاءات أخرى (٣) .

١- الديوان ٣٤ .
٢- نفسه ٦٤ .
٣- ينظر نفسه ٩٥ ، ١١٢ - ١١٣ .

لزوم مالا يلزم :-

التي هي ((أن يلتـــزم الناثر في نثره أو الناظم في نظمه قبل الروي أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في الجمع مثل التزام حرف أو حركة يحصل الـسجع بدونه)) (١) .

وعبّر عنه ابن سنان الخفاجي بقوله ((هو التـــزام بعض الشعراء في القوافي إعـــادة ما لا يلزم طلباً للزيادة في التناسب والإغراق في التماثل)) (٢) .

إما الـــيد احمد الهاشمي فقد قال ((هو أن يجئ قبل حرف الروي ، أو ما في معناه من الفاصلـــة ، بما ليس بلازم في القفية ، ويلتـــزم في بيتين أو اكثر من (النظم) أو في فاصلتين أو اكثر من (النثر))) (٣) .

ومن أمثلته عند شعراء الزهد في القرن الثاني الهجري قول سفيان الثوري :-

أن كنتَ ترجو الله فاقنع به ... فعندهُ الفضل الكثير الكثيرْ
من ذا الذي تلزمه فاقـــة ؟ ... وذخره الله العلـــي الكبيـرْ (٤) .

فقد التزم الياء قبل حرف الروي .

أما الشاعر عبدالله بن المبارك فقد قال :-

اغتنمْ ركْعتَيْن زُلْفى إلى اللهِ ... إذا كُنْتَ فـــارغاً مُستريحَا
وإذا ما هممْتَ بالنُّطق بالبَا ... طِلِ فاجْعَلْ مكانَـه تَسْبيحَـا (٥) .

فقد التـــزم حرف الياء قبل حرف الروي .

أما الشاعر بهلول المجنون فقد قال :-

١- معجم البلاغة العربية ، د . بدوي طبانه ٢/٧٩٣ .
٢- سر الفصاحـــة ١٧١ .
٣- جواهر البلاغة ٤٠٧ .
٤- حلية الأولياء ٦/٣٧٣ .
٥- سير أعلام النبلاء ٨/٣٦٨ .

حقيقٌ بالتواضع من يموت ... وحسبُ المرء من دنياه قوتُ
فما للمرء يصبح ذا اهتمامٍ ... وشغلٍ لا تقوم لـهُ النعوتُ
صنيعُ مليكنا حسن جميـل ... وما أرزاقنـا ممـا يفوتُ
فيا هذا سترحل عـن قريبٍ ... إلى قومٍ كلامُهم السكوتُ (١).

فقد التزم الشاعر حرف الواو قبل حرف الروي .

ومن أمثلته عند أبي نواس التـزام حرف الواو قبل حرف الروي في قوله :-

ألاتأتي القبورَ صباحَ يوْمٍ ... فتسْمعَ ما تخبِّرُكَ القبورُ ؟!
فإن سكوتها حَرَكٌ تنادى ... كأن بطونَ غائبها ظهورُ (٢).

أما الشاعر أبو العتاهية فقد قال في بطلان ملاهي الدنيا ملتـزماً حرف الياء قبل حرف الروي :-

جَمَعْتَ من الدُّنيا وحُزْتَ ومُنْيتا ... ومالكَ إلاّ ما وَهَبْتَ وأمْضَيْتا
ومالكَ ممّا يأكُلِ النّاسُ غيْرَ ما ... أكلْتَ منَ المالِ الحلالِ فأفْنَيْتا (٣).

وقول أبي العتاهية في العدول عن الدنيا والزهد فيها ملتـزماً حركة الكسر قبل حرف الروي :-

خُذِ الدُّنيا بأيسرها عليْكا ... وَمِلْ عنها إذا قصَدَتْ إليْكا
فإنَّ جَميعَ ما خُوِّلْتَ منْها ... ستَنْقُضُهُ جَميعاً منْ يدَيْكا (٤).

وعلى الرغـم من كثرة هذا الفن الشعري عنـد شعراء الزهد في القرن الثاني الهجري غير أنهـم لم يتكلفوه بل جاء سهلاً منقاداً إذ وجدوا فيه وسيلة لتقوية الجرس الموسيقي .

وبهذا انتهيت من دراسة الموسيقى الخارجية التي ضمت الأوزان (البحور) والقافية وما يتعلق بها من ظواهر وقد وجدتُ الشعراء قد كتبوا في عدة بحور مختلفـة الأوزان وفي قوافٍ متعددة أشرت إليها بإحصائية في جداول وقد اعتمدتُ في دراستي على الشعراء الكبار لمتابعـة أهـم البحور وأكثر القوافي استخداماً .

١- أعيـان الشيعة ١٤/١٦٢ .
٢- الديوان ت الغزالي ٦١٣ .
٣- أبو العتاهية اشعاره وأخباره ٦٤ .
٤- نفسـه ٢٥٩ .

٢ - **الموسيقى الداخلية :-**

أنّ الموسيقى الداخلية على جانب كبير من الأهمية لذا تناولها الشعراء في هذا الغرض ولا بدّ من التنويه هنا بالإيجاز وذكر الشواهد القليلة لكل شاعر لأنني إزاء مجموعة من الشعراء لذا أحتاج الصفحات لكي أفي بالغرض وتحددت الموسيقى الداخلية بظواهر هي :-

(ظاهرة التكرار ، ظاهرة رد العجز على الصدر ، ظاهرة الترصيع ، ظاهرتا الجناس والطباق)

م -

ظاهرة التكرار :- قد جاءت في موسيقاهم الداخلية وشكلت عندهم جزءاً كبيراً في قصائدهم ، ولم يغفلوا هذه الأهمية عندما احسوا بقيمة تكرار الألفاظ وما لها من أثر في إحداث النغم الجميل والموسيقى العذبة لا سيما وهم يعيشون في عصر كثرت به المؤلفات عن تلك الظاهرة .

والتكرار يكون في الحروف والكلمات والعبارات بل حتى في الأصوات ، وقد لجأ الشعراء الى ظاهرة التكرار اللفظي وذلك لتاكيد معنى معين أو لفظة معينة تحصل في خواطرهم او لإحداث الجرس الموسيقي فيتدفق الشعر لديهم عذباً في قوالب فنية تشعر المتلقي بالجدة .

وقد استخدم بعضهم التكرار للتعبير عما يجول في نفسه ويؤثر فيها ، فقد يكون الحدث مؤثراً يهزّ مشاعره مما يجعل تلك الألفاظ تأتي مكررة .

وكان عبد الله بن المبارك يكرر لفظة (الفتى) ثلاث مرات ليحدث جرساً موسيقياً تاكيداً على أهميتها :

الصمتُ أزين بالفتى ... من منطق في غير حينهْ
والصدقُ أجملُ بالفتى ... في القول عندي من يمينهْ
وعلى الفتى بوقارهِ ... سِمَةٌ تلوح على جبينهْ (١) .

ويؤكد ابن المبارك على حفظ اللسان وهو سمةٌ من سمات الزهد قائلاً :-

أحفظ لسانك إنّ اللسانَ ... حريصٌ على المرءِ في قتلهِ
وإنّ اللسان بريدُ الفؤادِ ... ودليلُ الرجال على عقلهِ (٢) .

---

١ - حلية الأولياء ، ٨/١٧٠ .

٢ - سير أعلام النبلاء ٨/٤٠٣ .

فكرر الشاعر لفظة (اللسان) ثلاث مرات تقوية للمعنى وأثر في إحداث النغم الموسيقي .

وكان أبو نواس يستخدم التكرار للمفردات والحروف في غرض الزهد وغيره ، كما في قوله وهو يخاطب الإنسان المحمول على سرير الموت وهو لا يدري في تلك اللحظات ، ثم يتساءل كيف سيكون حال المرء وهو يغسل بالكافور والأصعب من هذا كيف سيكون حاله يوم الحساب وقد كرر العبارة كاملة :-

يا ليت شعري كيف أنت على ظهر السرير وأنت لا تدري ! ؟
أو ليت شعري كيف أنت إذا غسلت بالكافور والسدر !؟
أو ليت شعري كيف أنت إذا وضع الحسابُ صبيحة الحشر ! ؟ (١) .

وكرر الشاعر العبارة (يا ليت شعري كيف أنت) في الشطر الأول وأعاد ذلك في كل الأبيات كأنما جعل منها لازمة أو رابطة نغمية تصل البيت بما بعده بسلسلة من اللحن النغمي الموصول ... (٢) .

وكرر أبو نواس أداة التشبيه ثلاث مرات ليصنع تجانسا وإيقاعا يزيد موسيقاه الداخلية قوة :-

فكأن أهلك قد دعوك : فلم تسمع ، وأنت محشرج الصدر
وكأنهم قد عطروك بما يتزود الهلكى من العطر
وكأنهم قد قلبوك على ظهر السرير ، وظلمة القبر (٣) .

وكرر العتابي لفظة (الصبر) وهو يأمر بالصبر حين تنزل حادثة من أحداث الحياة والصبر خير دواء يملكه الإنسان :-

أصبر إذا بدهتك نازلة ما عال منقطع إلى الصبر
الصبر أنبل ما اعتصمت به ولنعم حشو جوانح الصدر (٤) .

فقد كرر لفظة (الصبر) ثلاث مرات ليحدث النغم الموسيقي ويجد في تكرارها دلالة أقوى على المعنى الذي يريد توصيله للمتلقي .

١- ديوان أبي نواس ، ت الغزالي ٦١٠ .
٢- ينظر لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ٦٨ .
٣- ديوان أبي نواس ، ت الغزالي ٦٠٩ .
٤- العتابي ، حياته وما تبقى من شعره ٤٠٢ .

وأبو العتاهية كان ((يلجأ إلى إعادة الكلمـــــة أو العبارة في أبيات متتاليـــة ليتسق له اللحن النغمي)) (١).

كقوله يتساءل ثلاث مرات وهو ينادي أهل القبور كيف محا التراب جمال ونضارة وجوههـــــم حتى أصبحت هذا الشكل المخزي ، وكم ابتعدوا عن ديارهـــم وتركوها لغيرهـــم وقد تفرقوا وابتعدوا عن بعضهم حتى انقطع حبل المواصلة فيما بينهم :-

أهْلَ القُبـــور مَحا التُّرابُ وجوهَكُمْ ... أهْلَ القُبـــور تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الحُلى
أهْلَ القُبور كَمْ بَنَى بِنَاءَ دِيارِكُـــمْ ... إنَّ الدِّيارَ يَكُمْ لَشاغِلَـــةُ الثَّوى
أهْلَ القُبور لا تَواصَلَ بَيْنَكُـــمْ ... مَنْ ماتَ أصْبَحَ حَبْلُهُ رَثَّ القُوى (٢).

وتكرار الكلمة يأتي كثيراً عنده فقد كرر أسلوب الاستفهام (ألم تر) في أربعة أبيات. (٣).

وكرر (سبحان ربك) خمس مرات في خمسة أبيات . (٤).

وكرر عبارة (ومن كفا) ثمان مرات في ثمانية أبيات . (٥).

وكرر عبارة (يا نفس) أربع مرات في أربعة أبيات . (٦).

إلى غير ذلك من الكلمات التي كان يكررها في غرض الزهد وقد أشرت إليها في معجمي المصطلحات الدنيا وإنما يفعل ذلك لإحساسه بنغم الموسيقى ودور التكرار في إحداث ذلك النغم المؤثر ... (٧).

وذكر أحد الباحثين (روي عن أبي العتاهية أنـــه كان بخيلاً أو حريصـــاً وهذا كرر ألفاظ الحـــرص والحريص) (٨).

كما في قوله مؤكداً على أن صاحب الأدب والفكر لا يستبعد الحرص عن نفسه ذلك الحـــرص على

---

١ – لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ٦٨ .

٢ – أبو العتاهية أشعاره وأخباره ١٦ .

٣ – نفســـــه ٣٦ .

٤ – نفســـــه ٣٠ .

٥ – نفســـــه ٣٢٨ .

٦ – نفســـــه ٣٤٥ .

٧ – ينظر لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ٧٠ .

٨ – نفســـــه ٤٧١ .

الثقافة والعلـــم والأدب وليس الحرص على المال ، لان الأيام سوف تزيل هذا المال :-

ما استعبدَ الحرصُ مَنْ لـــهُ أدبُ ... للمرءِ في الحرص همّة عجبُ
للهِ عقـــلُ الحريص كيفَ لـــهُ ... في كـــلِّ ما لا يَنالـــهُ أربُ
ما زالَ حرْصُ الحريص يُطمعُهُ ... في دَرْكِهِ الشيءِ دونَـهُ العطبُ
ما طابَ عيشُ الحريص قطّ ولا ... فارقَهُ التعسُ منـــهُ والنصَبُ (١) .

وهذا المثال لا يدخل في الزهد ولكني أردت إثبات أسلوبه العام وتكراره في أغراض شعره المتنوعـــة . ويستخدم محمود بن حسن الوراق التكرار في شعره بشكل واضح كما في قولـــه مؤكداً بأن الشكر لله على كل شيء ، نعمة كبيرة عند الإنسان يجب شكر الله على تلك النعمة لوحدها

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... عليَّ له في مثلها يجب الشكرُ
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلـــه ... وإن طالتِ الأيامُ واتّصل العمرُ (٢) .

وأراد بهذا التكرار لِلفظة (الشكر) ثلاث مرات لتوكيد المعنى وتقوية النغم الموسيقي .

وبما أنّهُ زاهد فهو يتعشق (الفقر) فاستمع إليه في هذا المثال وهو يكرر تلك اللفظة ثلاث مرات وهو يقنع بأن العقل كنـــز للإنسان وفقدانه يسبب له ضرراً كبيراً :-

ولم أرَ مثل الفقر أوضـــع للفتى ... ولم أرَ مثل المال أرفـــــع للنـــذل
ولم أرَ عزّاً لا مرِيء كعشيـــرةٌ ... ولـــم أرَ ذلاً مثل نـــــأي عن الأهل
ولم أرَ من عدم أضرَّ على الفتى ... إذا عاش بين الناس من عـــدم العقل (٣) .

كرر الشاعر (لم أر) خمس مرات وذلك لتقوية النغم الموسيقي .

وقد كرر لفظة (الشيب) في ثلاثة أبيات واصفاً الشيب ولا سيما حينما تخرج النصول في ذقن المرء والمرء يعجز عن رد الشيب :-

---

١ – أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٢٤ .

٢ – الديـــوان ٦٤ .

٣ – نفســـه ١٠٤ .

يا خاضب الشيب الذي ... في كل ثالثة يعودُ
أن النصول* إذا بدا ... فكأنه شيب جديدُ
فدع المشيب لما ارا ... د فلن يعود كما تريدُ (١) .

فقد كرر لفظة الشيب تأكيداً لأهميتها وانسجاماً للنغم الموسيقي .

والشاعر بشر بن الحارث يؤكد على اليأس مكرراً مفضلاً اليأس على الحرص :-

أعزُ للإنسان من حرصه ... ومن سؤال الأوجه الكالحهْ
فاستغن باليأس تكن ذا غنى ... مغتبطاً بالصفقة الرابحهْ
اليأس عز والتقى سؤدد ... ورغبة النفس لها فاضحهْ (٢) .

وقد كرر الشاعر لفظة (اليأس) تأكيداً لمعناها وتقوية للنغم الموسيقي .

ويكرر محمد بن يسير (ت ٢٣٠ هـ) *لفظة (الموت) لأنها كانت تعذبه وتثير شجونه وتدفعه إلى التمسك بعرى التقوى والدين كما في قوله متحسراً على اليوم الذي مضى منه وهو يلتقي بالموت الذي قد نسيه لاهياً بالدنيا ولكن الموت لا ينساه :-

يا حسرتي في كل يوم مضى ... يذكرني الموتُ وأنساهُ
مَنْ طالَ في الدنيا به عُمْرُهُ ... وعاشَ فالموتُ قصاراهُ (٣) .

---

* النصول :- ظهور الشيب بعد إخفائه .

١- الديوان ٦٠ .

٢- حلية الأولياء ٣٤٦/٨ ... والتاريخ الكبير لابن عساكر ٢٣٩/٣ .

* محمد بن يسير :- هو أبو جعفر ، شاعر من أهل البصرة ، كان مولى أسد وبني رياش ، لم يغادر مدينة البصرة خلال حياته التي شملت النصف الثاني من القرن الثاني .

آله جامع الضدين بدأ ماجناً وانتهى زاهداً حيث لم يتبْ إلا على أبواب الشيخوخة ...

ينظر الشعر والشعراء في العصر العباسي ٥٥٧ - ٥٧١ .

٣- الكامل للمبرد ١٥/٢ ... واتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٣٠٨ ...

وشعر محمد بن يسير الرياشي / جمعهُ وقدّم له الدكتور محمد جبار المعيبد والدكتور مزهر السوداني ، بحث مقبول ينشر في مجلة كلية الآداب - جامعة البصرة ص ٥ .

ب- ظاهرة رد العجز على الصدر :-

لقد كثرت في قصائدهم هذه الظاهرة وفي غرض الزهد حصراً وكما نعلم أن قدامة بن جعفر عرّفها بأنّ ((يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به حتى أن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سُمِعَ أول بيت عرف آخره وبانت له قافيته)) (١) .

وعرفها احمد الهاشمي ((هو أن يكون احداهما في آخر البيت وأقا في صدر المصراع أو في حشوه أو في آخره)) . (٢) .

وقد يتساءل لماذا يميل الشعر الى هذا النوع ؟ وذلك رغبة منهم لإحداث التكرار النغمي الذي يقوي به الايقاع .

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في ذلك واصفاً هؤلاء الراغبين بالدنيا فقد كانوا معدودين ولم يقنعوا بهذه القلة وعندما حان الموت أصبحوا أقل من الوقت السابق فماذا يفعلون :-

وقد كانوا إذا عُدّوا قليلاً فقد صاروا أقل من القليل (٣) .

ولفظة (القليل) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (قليلا) في صدره وذلك ليحدث نغماً موسيقياً

وقال أبو نواس في هذه الظاهرة نفسها وهو يتضرع إلى الله وقد كثرت ذنوبه ومهما كثرت فأن عفو الله ومغفرته أكبر من تلك الذنوب :-

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة فقد علمت بأن عفوك أعظمُ (٤) .

ولفظة (أعظم) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (عظمت) في صدره وذلك ليحدث نغماً موسيقيا

١- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ٦٦ .

٢- جواهر البلاغة ٤٠٨ .

٣- شعر الخليل بن احمد الفراهيدي ، جمع حاتم صالح الضامن ، وضياء الدين الحيدري ، مجلة البلاغ العدد ٤-٦ طبعة المعارف ببغداد ١٩٧٣ ص ٥١ .

٤- الديوان ، برواية الصولي ، ٩٨٦ .

وكذلك قولـــه واصفاً الذنب الكبير الذي يخشاه الإنسان ويرى أن عفو الله جل وعلا أكبر من ذلك الذنب :-

يا كثيرَ الذَّنبِ عفـــو الله من ذنبك أكبرُ (١) .

ولفظة (ذنبك) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (الذنب) في صدره وذلك ليحدث إيقاعاً داخلياً .

وحين يخاطب قلبه للحذر من الدنيا يقول :-

يا قلبُ مَهلاً وكُنْ على حَذَرٍ فقدْ لعَمْري أمرْتَ بالحَذَرِ (٢) .

ولفظة (الحذر) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (حذر) في صدره محدثاً بذلك قوة في النغم .

وللشاعر محمد بن كناسة مثال في رد العجز على الصدر :-

إذا اعتادتِ النَّفسُ الرضاعَ من الهوى فإنَ فطامَ النَّفس عنه شديدُ (٣) .

ولفظة (النفس) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (النفس) في صدره ليحدث أيقاعاً موسيقياً .

وقوله في أثر النعمة على الإنسان :-

وإذا ما اللهُ أسْدى نعمةً لم يضِرْها قولُ حُسَادِ النِّعَمْ (٤) .

ولفظة (النعم) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (نعمةً) في صدره .

أما الشاعر أبو العتاهية فقد كان من أكثر الشعراء تكراراً ، فقد قال في هذه الظاهرة معترفاً بأنه لعب في دنياه كثيراً وقد جاء الموت له وأصبح شغله الشاغل عن كل ملذاته إذ يقول :-

لقدْ لعبْتُ وَجَدَّ الموتُ في طلبي وإنَّ في الموتِ لي شُغْلاً عن اللَّعِبِ (٥) .

وأنه يكرر كلمة (اللعب) ويردها على صدر البيت (لعبت) ليحدث انسجاماً موسيقياً .

وقوله مؤكداً على هروب المرء عن الموت وهو يعلم بأنه لا ينجو من الموت أينما هرب

يَهْرُبُ المرءَ منَ الموتِ وهَلْ يَنْفَعُ المرءَ منَ الموتِ الهربُ (٦) .

١- الديوان برواية الصولي ، ٩٧٩ .

٢- زهديات أبـــــي نواس ٥٢ .

٣- محمد بن كناسة ، حياته وشعره ، نصوص باقية من كتابه الأنواء ٣٠٨ .

٤- نفســـــه ٣١٥ .

٥- أبو العتاهية اشعاره وأخباره ٣١ .

٦- نفســـــه ٣٠ .

ولفظتي (الهرب ، الموت) في عجز البيت يرد بهما الشاعر على لفظتي (يهرب ، الموت) في صدره وذلك لتقوية الجرس الموسيقي .

وقوله يتحدث بواقعية عن حقيقة الإنسان المخلوق من التراب وسيرجع إلى التراب :-

مِنْ تُرابٍ خُلقتَ لا شكَّ فيهِ وَغداً أنتَ صائرٌ للتُّرابِ (١) .

ولفظة (للتراب) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (تراب) في صدره محدثاً ذلك لتقوية النغم الموسيقي .

وقال أيضاً واصفاً الإنسان المخدوع بالدنيا وجمع أموالها ولم يقنع بما يعطي وهو يدري بأنه يسلب منه غداً ويعلم بأن نفسه آخر ما تسلب منه :-

سَتُعْطى وتُسلبُ حَتّى تكو نَ نَفسكَ آخِرَ ما يُسلبُ (٢) .

ولفظة (يسلب) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (تسلب) في صدره ليحدث جرساً موسيقياً .

وقوله ناصحاً الإنسان أن يترك ما يشك به خشية أن يقع في الحرام :-

وَدَعْ ما يَريبُكَ لا تَأتِهِ وجُزْهُ إلى كُلِّ ما لا يَريبُ (٣) .

ولفظة (يريب) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (يريبك) في صدره وذلك لتقوية النغم الموسيقي .

أما الشاعر محمد بن حازم الباهلي فقد قال في هذه الظاهرة موضحاً أن الشباب قد رحل وحل الشيب بديلاً مبشراً بالموت فمن يستطيع أن يرجع الشباب الماضي :-

وقد رَحَلَ الشبابُ وحلَّ شيبٌ فهلْ لك في شبابك من رجوع (٤) .

ولفظة (شبابك) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (الشباب) في صدره محدثاً بذلك نغماً موسيقياً .

أما الشاعر محمود بن حسن الوراق فله كثير من الأبيات التي دلت على رد العجز على الصدر منها كما في قوله يرى أن بذكر الله تطمئن القلوب فإن الذنوب التي يرتكبها المرء ويظل مفكراً بها ولا يوجد لها دواء غير ذكر الله واستغفاره :-

---

١- أبو العتاهية اشعاره وأخباره ٤٣ .

٢- نفسه ٣٨ .

٣- نفسه ٣٧ .

٤- ديوان محمد بن حازم الباهلي ٢٠٥ .

وإذا مرضت من الذنوب فداوها بالذكر أن الذكر خير دواءِ (١) .

وكلمة (دواء) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (داوها) محدثاً إيقاعاً موسيقياً .

وقوله أن الإنسان متعلق بالحياة محب لها يريد البقاء والعمر الطويل ، وهو يخدع بالدنيا ويخشى الموت فالحياة لا تبقى دائمة :-

يُحبُّ الفتى طولَ البقاء كأنّهُ على ثِقةٍ أنّ البَقاءَ بَقاءُ (٢) .

فكلمة (بقاء) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (البقاء) في صدره محدثاً إيقاعاً موسيقياً .

وقوله أيضاً واصفاً بياض رأسه بعد ذلك السواد ثم جاء الشيب مشيراً بالذهاب وقد حصد الموت أقواما كثيرة ومن بينهم الشاعر الذي سوف يحين حصاده وهنا يشير إلى أن الخلق زرع الله متى شاء حصده:-

ابيضَّ مني الرأس بعد سـواد ودعا المشيب شبيبتي لنفادِ
واستحصد القوم الذي أنا منهم وكفى بذاك علامة لحصادِ (٣) .

وكلمة (لحصاد) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (استحصد) في صدره محدثاً بذلك قوة في النغم الموسيقي .

وقوله مؤكداً بان الشكر لله على كل شيء :-

إذا كان شكري نعمة الله نعمة عليَّ له في مثلها يجب الشكرُ (٤) .

فكلمة (الشكر) في عجز البيت يرد بها الشاعر على (شكري) في صدره محدثاً بذلك قوة في النغم وبشر بن الحارث فقد قال في هذه الظاهرة واصفاً القناعة بأنها عز لصاحبها يكسبه الرضا والاحترام من الناس وتبعده عن الجشع والطمع فلا يوجد عز مثلها :-

افادتني القناعةُ أيَّ عزّ ولا عزَّ أعزُّ من القناعهْ (٥) .

ولفظتي (القناعة ، عز) في عجز البيت يرد بهما على (القناعة ، عز) في صدره محدثاً بذلك قوة في النغم الموسيقي .

---

١ – الديوان ٣٣ .
٢ – نفسه ٣٤ .
٣ – نفسه ٦٣ .
٤ – نفسه ٦٤ .
٥ – تاريخ بغداد ٧٦/٧ .

ج – ظاهرة الترصيع :– ظاهرة من ظواهر الاهتمام بالموسيقى الداخلية وقد جاء هذا الجنس في اشعار الكثير من القدماء والمحدثين وانما يلجأ الشعراء إلى هذا النوع لكي يضيفوا إيقاعاتهم بنات مشابهة لم تقتصر على أواخر الأبيات و إنما كانت تشمل البيت الواحد . (١) .

وقد عرفها قدامة بن جعفر ((هو أن يترصى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف)) (٢) .

وقد اكثر منه شعراء الزهد في القرن الثاني الهجري ومن هؤلاء الشاعر صالح بن عبد القدوس :–

قلم أرَ بعد الدين خيراً من الفتى ولم أرَ بعد الكفر شراً من الفقر (٣) .

يظهر الترصيع بين لفظتي (خيراً ، شراً) .

أما الشاعر هلول الجنون فقد قال في هذه الظاهرة :–

يا طالب الحور لا تستحي بحبك النور على النور (٤) .

يظهر الترصيع بين لفظتي (الحور ، النور) .

والشاعر أبو نواس فقد قال في هذه الظاهرة :–

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما (٥) .

يظهر الترصيع بين لفظتي (ذنبي ، ربي) .

وقال أيضاً :–

كلّ نـــاعٍ فسيثنيكَ كلّ باكٍ فسيبكيـــك (٦) .

يظهر الترصيع بين لفظتي (ناعٍ ، باكٍ) .

وقال أيضاً :–

---

١ – ينظر لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث ، ٨٩ .

٢ – نقد الشعر ، ٤٠ ، ينظر سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، ١٨٢ .

٣ – الديـــــــوان ١٥٠ .

٤ – أعيان الشيعة ١٤ / ١٦٢ .

٥ – زهديات أبي نواس ٧٠ .

٦ – الديوان ت الغزالي ٦١٧ .

أيا رُبَّ وَجهٍ في التُّرابِ عَتيقِ وَيارب حُسنٍ في التّرابِ رَقيقِ (١) .

يظهر الترصيع بين (عتيق ، رقيق) .

والشاعر أبو العتاهية قال الكثير في هذه الظاهرة منها قولهُ واصفاً سكرات الموت :-

قَدْ سَمِعْنا الوَعْظَ لَوْ يَنْفَعُنا وَقَرَأْنا جُلَّ آياتِ الكُتُبْ (٢) .

يظهر الترصيع بين لفظتي (سمعنا ، قرأنا) .

وقال أيضاً واصفاً الدنيا :-

اقطَعِ الدُّنْيا بِما انْقَطَعَتْ وَادْفَعِ الدُّنْيا بِما انْدَفَعَتْ (٣) .

يظهر الترصيع في الكلمات (اقطع ، ادفع ، انقطعت ، اندفعت) .

والشاعر محمد بن حازم الباهلي قال في هذه الظاهرة :-

أضرع إلى اللهِ لا تضرعْ إلى الناس واقنعْ بِبأس ، فانَّ العزَّ في اليأس (٤) .

يظهر الترصيع بين لفظتي (اضرع ، اقنع) .

أما الشاعر محمود الوراق فقد قال في هذه الظاهر الكثير منها قوله في الشيب :-

وقد نجم الشيب في عارضيك وجر على مفرقيك الذيولا (٥) .

يظهر الترصيع بين لفظتي (عارضيك ، مفرقيك) .

وقوله ايضاً :-

قد جرى بالشر نحس وجرى بالخير سعد (٦) .

يظهر الترصيع بين لفظتي (نحس ، سعد) .

وقوله أيضاً :-

يا عائب الفقر ألا تزدجر عيب الغنى اكبر لو تعتبرْ (٧) .

يظهر الترصيع بين لفظتي (تزدجر ، تعتبر) .

١- زهديات ابي نواس ٤٠ .

٢- أبو العتاهية اشعاره وأخباره ٢٩ .

٣- نفسه ٨٢ .

٤- ديوان محمد بن حازم الباهلي ٢٠٤ .

٥- الديوان ١١٣ .

٦- نفسه ٥٩ .

د- ظاهرتا الجناس والطباق :- مما يطالعنا في قصائد شعراء الزهد في القرن الثاني الهجري ظاهرة الجناس وقد عرّف ابن المعتز هذه الظاهرة ((هو أنْ تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها)) (١).

((ولم يكن شعراء القرن الثاني الهجري يطلبون الجناس ويتكلفونه لذلك لم يكثروا منه ، إنما كانوا يستعملونه على الطبع والسجيّة)) (٢).

فقد لجأ الشعراء الى ظاهرة الجناس لأثراء النغم الداخلي لقصائدهم وله دور في خلق الموسيقى الداخلية في النص الشعري وقد كان وسيلة مثلى عبّر من خلالها الشاعر عن مدى تذمره من الدنيا دون أن تفقد الأبيات جمال المعنى ودقّة الأسلوب .

يتعمد الشاعر الجناس استدعاءً لميل السامع والإصغاء إليه لانّ النفس في طبعها تستحسن المكرر مع اختلاف معناه ويأخذها نوع من الاستغراب .

وجانس أبو نواس جناساً ناقصاً بين (الملاهي - الدواهي) في قوله الذي يصف فيه الشيب :-

انقضتْ شرّتي فعفتُ الملاهي ورمى الشيبُ مفرقي بالدّواهي (٣).

وقد جاء الجناس عنده عفو الخاطر لم يبالغ ولم يتكلف فيه .

١- البديع ، لابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ٢٥ .

٢- لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث ٨٣ .

٣- ديوان أبي نواس ، برواية الصولي ٩٩٠ .

وجانس الشافعي بين (عذبها - عذابها) واصفاً زيف الدنيا وغرورها :-

ومَنْ يذق الدنيا فإني طعمتها وسيق إلينا عذبها وعذابها (١) .

وجانس بين (عمري - عمْرا) وهو يؤكد على القناعة :-

وإذا ما قنعتُ بالقوت عمري فلماذا أزورُ زيداً وعمرا (٢) .

وقد وردت لفظة (عمرا) في نهاية البيت عفو الخاطر وكأنّ المثل الجاري (زيد و عمر) قد تطلبها .

أما الشاعر أبو العتاهية فقد كان في مقدمة الشعراء استخداماً للجناس ولكنه لم يغرق فيه إغراقاً وتكلّفا إلا في مواضع قليلة وقد أشار الدكتور هدارة إلى ذلك قائلاً :-

((وهو مغرم باستخدام الجناس أكثر من غيره من فنون البديع)) (٣) .

كما يتضح في قوله مشيراً إلى أصحاب المنابر والرتب والمدن والقرى الذين اشتهروا بين الناس وكذلك أصحاب الكتائب والمراتب العالية وهو يرفض في تعداد ذلك الشهرة ويؤكد على الزهد :-

وذوو المنابر والعساكر والدسا كر والمحاضر والمدائن والقرى
وذوو المواكب والمراكب والكتا ئب والنجائب والمراتب في العلى (٤) .

وجانس بين (عيشه - عيشه) واصفاً عيش الزهد للرجل قرير العين المقتصد في حياته :-

أنّ القريرة عيشُهُ عَبْدٌ خشيَ الإله وعيشُهُ قصدُ (٥) .

وجانس بين (قصره - قبره) مؤكداً على اللجوء سابقاً إلى القصر العالي والآن قد أصبح يتردد على قبره وهو يشير إلى زوال الدّنيا وتغيرها :-

وقد كنتُ أغدو إلى قصْرِهِ فقد صرتُ أغدو إلى قبرِهِ (٦) .

وجانس الوراق بين (الأرب - الأدب) وهو يوصي بأن الصبرَ خير سلاح لصاحب

١- ديوان الشافعي ٣٣ .
٢- نفسه ٩٣
٣- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني ٥٨٧ .
٤- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ١٥ .
٥- نفسه ١١٤ .
٦- نفسه ١٨٢ .

الإرادة والطلب :-

الصبرُ أمضى سلاح ذي الأرب فاقمع به حد سورة الأدب (١) .

وجانس بين (عال - غال) وهو يتحدث عن مغالاة الزمان ومفاجآته للإنسان :-

لعمري لئن عال صرف الزمان لقد غال نفساً حبيبه * (٢) .

وجانس بين (موته - صوته) وهو يتحدث عن جزع المرء لما فاته في الدنيا وعدم اقتناعه بالسلامة :-

قيامة من مات في موته واخمال ما شاع من صوته (٣) .

وجانس بين (القرض - الفرض) وهو يصف عدم نفع المال والدعوى لا عطائه للمحتاج :-

سأمنح مالي كل من جاء عافياً وأجعلهُ فرضاً على القرض والفرض (٤) .

وجانس الوراق بين (قبل - قبر) وهو يصف الموت :-

فما لم يمت مني لما مات ميت وبعض لبعض قبل قبر البلى قبرُ (٥) .

١- ديوان الوراق ٤٧ .

* هكذا جاءت في الديوان وهو مكسور .

٢- ديوان الوراق ٤٨ .

٣- نفسه ٥٠ .

٤- نفسه ٨٧ .

٥- نفسه ٦٤ .

ومن المحسنات اللفظية الطباق الذي عرفه ابن المعتز بقوله ((هو الجمع بين كلمتين متضادتين في المعنى)) (١) .

يعد الطباق من الظواهر الموسيقية التي تضفي على القصيدة نوعاً من الإيقاع الداخلي ومجيئه قد يشد من الروابط العضوية بين كلماتها مما يحدث إيقاعاً موسيقياً جميلاً يأتي عفو الخاطر دون تصنع .

وعلى الرغم من إكثار الشعراء من لون الطباق فإنني سوف أختار القليل من الأمثلة ومن الطباقات الخاصة بغرض الزهد ، أن سبب تأكيد الشاعر أحيانا على الطباق هو بيان تذمره من الدنيا دون أن تفقد الابيات جمال معناها .

وطابق صالح بن عبد القدوس بين (مثر - معدم) وهو يريد القناعة في الحياة :-

وما الرزق ألا قسمة بين أهله فلا يعدم الأرزاق مثر ومعدمُ (٢) .

وطابق أيضاً بين (الصديق - العدو) وهو يريد الحياة الهادئة التي يحصل فيها الأمان والزهد :-

ليس الصديق بمن تخشى غوائله ولا العدو على حال بمأمون (٣) .

وطابق عبد الله بن المبارك بين (الشهد - السم) :-

حلاوةُ دنياكَ مسمومة فما تأكل الشهد إلا بسمْ (٤) .

وطابقت رابعة العدوية* (ت ١٨٥ هـ) بين (السكوت - النطق) وهي تصف موقفها من خالقها سبحانه :-

---

١- كتاب البديع في نقد الشعر ٣٦ .

٢- ديوان صالح ١١٧ .

٣- نفسه ١٤٠ .

٤- حلية الأولياء ٨/٢٧٩ .

* رابعة العدوية :- هي رابعة بنت إسماعيل ، عابدة من عابدات مكة ، ولدت بمكة وأقامت بمصر سبع سنين ولما دخل الأمام الشافعي مصر كان يتردد اليها ويصلي التراويح في رمضان بمسجدها ..... أعلام النساء ، عمر كحالة ١/٤٣٠ .

فإذا ما نطقت كنتَ حديثي وإذا ما سكتَّ كنت الغليلا (١) .

وطابق أبو نواس بين (الأحياء – الأموات) مستعرباً من الأحياء غير المفكرين بالموت :–

أما يتفكرُ أحياؤها فيعتبرونَ بأمواتها (٢) .

وطابق أيضا بين (أحظى – أشقى) وهو ينظر للإنسان غير المقتنع برزقه وقد كان حظه مقدرا وشقاؤه محسوباً عليه فلماذا يفكر بهما :–

وما أحدٌ بزادك منك أحظى وما أحدٌ بذنبك منك أشقى (٣) .

وطابق بين (الصمت – الكلام) وهو ينصح بالصمت خير من الكلام وآثاره السلبية المؤثرة على الإنسان :–

مُتْ بداءِ الصمتِ خيرٌ لكَ من داء الكلام (٤) .

وطابق بين (البعد – القرب) ويخاطب الإنسان بعيد الطباع وقريب الصور والتشابه :–

وبني البعد في الطبا ع على القُرب في الصَورْ (٥) .

وطابق بين (الزيادة – النقص) وهو ينصح الإنسان أن يتعظ بعدم الإلحاح على الزيادة في الدنيا لأن نتيجة ذلك نقص :–

تبغي منَ الدنيا زيادتَها وزيادةُ الدنيا هيَ النقصُ (٦) .

وطابق الشافعي بين (النار – الماء) وهو يوصي بعدم الرجاء من البخيل مثلما لا يجد العطشان في النار ماء :–

ولا تَرْجُ السماحة من بخيل فما في النار للظمآن ماءُ (٧) .

وطابق بين (ينقص – يزيد) وهو يؤكد على عدم الاهتمام بالرزق والجهد في أمره لان الله هو الذي قدّره وقسّمه بين الناس :–

١– شهيدة العشق الإلهي ١١٥ .

٢– زهديات أبي نواس ٩٥ .

٣– الديوان برواية الصولي ٩٨٤ .

٤– نفسه ٩٨٥ .

٥– نفسه ٩٨٠ .

٦– زهديات أبي نواس ٩٣ .

٧– ديوان الشافعي ٢١ .

ورزقك ليس ينقصه التأني وليس يزيد في الرزق العناءُ (١) .

وطابق بين (الأرض – السماء) وهو يؤكد على أن المنايا لابد أن تقع على الإنسان ولا تحميه حينها لا الأرض ولا السماء :–

ومنْ نزلتْ بساحتهِ المنايا فلا أرضٌ تقيهِ ولا سماءُ (٢) .

وحين زهد عن الناس وميزهم عن بعضهم فترك الشرير منهم والعالي الذي لا خير منه وهو يطابق بين أسفلهم وأعلاهم :–

فتركتُ أسفلهم لكثرةِ شره وتركتُ أعلاهم لقلةِ خيره (٣) .

وهنا تظهر المقابلة واضحة في أربع كلمات (أسفلهم ، أعلاهم ، شر ، خير) وهي المطابقة بين عدد من الكلمات في البيت الواحد .

وأبو العتاهية يصف حالات اليسر والعسر وتجدهما مختلفين ولم يجد سببا بين (الحي – الميت) إذ قال :–

ولمْ أرَ بينَ اليسر والعسر خُلطة ولمْ أرَ بينَ الحيِّ والميتِ من سببْ (٤) .

وطابق أبو العتاهية بين (الليل – النهار) وهو يؤكد على اغترار الإنسان بكل إشراقة صبح ومجيء ليل لكنه يدفع عمره دون جدوى :–

أغرك منها نهارٌ يُضيءُ وليلٌ يَجُنُّ وشمسٌ تغيبُ (٥) .

وطابق بين (اليمين – الشمال) وهو يصف حيرته يوم الحساب عندما يأخذ كتابه :–

وهو يشير إلى قوله تعالى ((فأمّا من أُوتي كتابهُ بيمينه فيقول هاؤُم اقرءوا كتابيه وأما من أُوتي كتابهُ بشماله فيقول ياليتني لم أُوتَ كتابيه)) *

ليتَ شعري بيميني أعطى أمْ شمالي عند ذاك الكتابا (٦) .

١– ديوان الشافعي ٢١ .

٢– نفسه ٢٢ .

٣– نفسه ١٠٤ .

٤– أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٣٦ .

٥– نفسه ٣٧ . * سورة الحاقة / ١٩ ، ٢٥ .

٦– نفسه ٤١ .

وطابق بين (الحياة – الموت) وهو يرى الحياة تعجبه ولكن على أن يعيشها زاهداً :-

وإني لممَّنْ يكرهُ الموتَ والبلى ويُعجبُني روحُ الحياةِ وطيبُها (١) .

وطابق بين (عائبها – مادحها) وهو يصف الدنيا مستغرباً من الذي يمدحها وهي لا تستحق ذلك :-

يا عجباً للدُّنيا كذا خُلقتْ مادحُها صادقٌ وعائبُها (٢) .

وطابق بين (ناقص – زائد) دالاً على عدم القناعة عند الناس وأن الدنيا لا تتغير إذا حصل نقصان ولا تتغير إذا حصلت زيادة في الخلق :-

ستنقطعُ الدّنيا بنقصان ناقص من الخلقِ فيها أو زيادةِ زائدِ (٣) .

وطابق الوراق بين (يخطئ – يصيب) واصفاً المرء الذي لا يتأكد من نتائج عمله ولا يعرف ما تؤول اليه الأيام :-

راكب ردعه كحاطب ليل يخطئ الأمر كله أو يصيبه (٤) .

وطابق بين (الشر – الخير) ، (النحس – السعد) وهنا تظهر المقابلة في قوله :-

قد جرى بالشر نحس وجرى بالخير سعد (٥) .

وطابق بين (السراء – الضراء) واصفاً خشيته من الله واقتناعه بما يقسمه الله ويريده للإنسان :-

إذا مسَّ بالسراءِ عمَّ سرورُها وإنْ مسَّ بالضراءِ أعقبها الاجرُ (٦) .

وطابق الوراق بين (الجود – اللوم) وهو يشير إلى أن الكريم من حمى عرضه وليس ماله واللئيم من أبتعد عن عرضه وتعلق بماله ... وقد أعطى رؤيته كزاهد لا بد أن يحمل تلك القيم :-

فأمّا كريم صنتَ بالجودِ عرضَهُ وأمّا لئيم صنتَ عن لؤمهِ عرضي (٧) .

وطابق بين (ضاقت – اتسعت) في قوله واصفا القبور كيف ضاقت بأصحابها بعد زوال قصورهم العالية :-

---

١ – أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٤٨ .

٢ – نفسه ٥٠ .

٣ – نفسه ١٢٢ .

٤ – الديوان ٣٧ .

٥ – نفسه ٥٩ .

٦ – نفسه ٦٤ .

٧ – نفسه ٨٨ .

ضاقتْ قبورُ القومِ واتّســـــعـــتْ قصورُهم المنيفهْ (١) .

وطابق بين (صغراهما – كبراهما) وهو يصف الشيب (الميتة الأولى للإنسان) والموت الثانية له :–

وكأنّ من حلّتْ به صغراهُما يوماً فقدْ حلّتْ به كبراهُما (٢) .

وطابق محمد بن يسير الرياشي بين (الموت – البقاء) مخاطبا ابنته التي تريد بقاءه وطول عمره وهو يحب أن يراها ميتة قبله مع علمه أن الموت أكرم ما ينزل على الحُرَم

تهوى بقائي وأهوى موتها شفقا والموتُ أكرمُ نزّالٍ على الحُرَمِ (٣) .

١– ديـــــوان الـــــــورّاق ٩٤ .

٢– نفســـــــــــــه ١٢٠ .

٣– طبقـــــات ابن المعتـــز ٢٨١ .

الخاتمة

سأحاول في هذا الخط الأخير الإلمام بأهم ما تمخض عنه هذا الجهد من نتائج ومنطلقات من الممكن أن تضيء بعض الجوانب في غرض الزهد في القرن الثاني الهجري :-

١ – اتضح لي من خلال التمهيد الذي افتتحتُ به بحثي أن غرض الزهد لم يكن وليد القرن الذي ادرسه، بل جاءت بذوره قبل الإسلام بلفظ يختلف مثل العبادة والنسك ثم تبلورت هذه اللفظة وأخذت دلالتها في عصر الإسلام وتوسعت في القرن الثاني الهجري لتصبح غرضاً معروفاً وفي هذا القرن الثاني تعددت دلالات الزهد حسب موضوع الشاعر بمفردات متنوعة ذكرتها في الفصل الأول الخاص بمعجم الألفاظ .

٢ – نشأ غرض الزهد واتسع اكثر في القرن الثاني عنه في الأول لاسباب أساسها الفتن والأحداث وتعقد الحياة وتكوّن طبقات مترفة وأخرى فقيرة كانت تلك اسباباً مباشرةً جعلت الزهدَ يتخذ آفاقاً جديدةً في هذا القرن .

فالزّهد ظاهرة إنسانية قد تستفيض في مجتمع يحمل تناقضات دينيّة وسياسيّة واقتصاديّة يقف معادلا للثراء والإسراف الاقتصادي ومعادلا للملذّات وترك العبادة دينيّاً سيما وان الدولة هي الّتي شجّعت على قول الزّهد راغبةً في حماية الإسلام من تشكك الزنادقة بالرغم من عدم كفاءة الزّهد في مواجهة الزندقة الشائعة الّتي اخترقت نفوس الخلفاء ،

٣ – أن الزهد في القرن الأول والثاني قد أفاد من القرآن وأحاديث الرسول (ص) فائدة مباشرة حتى سمى أحد الباحثين كتابه ((عصر القران)) وقد انعكست تلك الآيات والأحاديث انعكاساً مباشراً من خلال الألفاظ والأساليب التي ذكرها الشعراء في غرضهم هذا .

٤ – أن الشعر الذي قيل في هذا القرن اكثر بكثير من الذي قيل في القرن الأول وذلك لاسباب تؤهّتْ عنها في التمهيد وقد كان اكثر الشعراء اقتراباً من الزهد أبو العتاهية والوراق والشافعي .

٥ – لا أجد في القرن الذي ادرسه شاعراً يختص بالغرض الزهدي حصراً بل وجدتُ كثرةً عند ابي العتاهية مع تخصص الوراق والشافعي وابن كناسة في هذا الغرض لقلة ما جاء عنهم من الشعر .

٦ – أستطيع أن احدد موقفاً للزهد بتسميته في هذا القرن بالحركة الزهدية التي وعت دورها واستقلت بموضوعاتها وقد هيأت لها ظروف بلورت نجاحها وتفوقها مع نمو الفكر وتعقد الحياة وظهور الترف الذي عاكسه الفقر وكثرةُ مصادر الأعراء والفتنة التي وقفتْ أمامها القناعة وكره الملذات حتى وصل الأمر بالزاهدين إلى رمي أموالهم في النهر فهذا لم يكن موجوداً في القرن الأول .

٧- وجدت تقارباً في الناحية الفنية وأنا ادرس اللغة في معجم متشابه وأساليب تكاد تتفاوت معنىً ومضموناً وهي تقتبس من القرآن والسيرة الكثير من شواهدها مع اختلاف في الصورة الشعرية التي وظّفها كل شاعر حسب إبداعه وقدرته فليس من المعقول أن تكون صورة ابي العتاهية مشابهة بالقوة التي أراها عند الوراق .

٨- وفي الموسيقى وجدتُ فروقاً في استخدام كل شاعر خصوصيات هذا الغرض حسب ذوقه ومزاجه وانقياده للبحر الذي يريحه لذا تحدثتُ عنها بقسميها - الخارجية والداخلية - وعملتُ في دراستي جدولاً للشعراء الكبار ، وهذا درستُ الوزن - في الموسيقى الخارجية - درستُ القافية وعيوبها ولم أجد عند شعراء الزهد في القرن الثاني الهجري إلاّ عيباً واحداً هو الإيطاء .

أما في القسم الثاني فوضحتُ كيف اهتم شعراء الزهد في القرن الثاني الهجري بأحداث تنوّع الموسيقى في داخل أبياتهم عن طريق وجود قوافي داخلية من خلال عدة ظواهر وهي . ظاهرة التكرار ، ظاهرة رد العجز على الصدر . ظاهرة الترصيع . ظاهرة الجناس والطباق .

وثمة جوانب فنية وردت في أساليبهم قد أشرتُ اليها في متن البحث .

ولا أظن هناك فرقاً فنياً عميقاً بين شاعر وآخر درسته في هذا القرن في غرض الزهد .

وفي ملك الختام وبعد هذا الجهد الذي اخذ من عمري العلمي سنين عشتهن فرحة ولذّتُ متعبة وأنا أهل من خلاف العلم ولا يكتمل هذا العمل أبداً فالكمال لله وحده وانّ بلوغ الكمال استأثر به الرب العظيم .

لقد حاولت تلك المحاولة العلمية ولعلي قد أصبتُ أو قاربتُ في علمي بأن ذلك صعب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر

و

المراجع

أ- المصادر

* القرآن الكريم .

١- الأحاديث الأربعين النووية مع مازادها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد / عبد الله بن صالح المحسن ، المملكة العربية السعودية الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ، مركز شؤون الدعوة ،(ط ٥) (د – ت) .

٢- أسرار البلاغة / عبد القاهر الجرجاني ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة (ط ١) ١٩٤٨ .

٣- الأغاني / أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) شرحه وكتب هوامشه الدكتور يوسف طويل ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م .

٤- البديع / أبو العباس عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) تح كراستوفسكي ، مطبعة دار الحكمة ، دمشق (د – ت) .

٥- البيان والتبيين / أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون – القاهرة ١٩٥٨ م .

٦- تاج العروس / الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تح الدكتور عبد العزيز مطر ، الكويت ١٩٧٠م .

٧- تاريخ بغداد أو مدينة السلام / لأبي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) دار الكتب بيروت – لبنان (د – ت)

٨- جمهرة اللغة / أبو بكر بن دريد ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد (د – ت) .

٩- حلية الأولياء / أبو نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) ، مطبعة السعادة مكتبة الخانجي ، مصر (د – ت) .

١٠- الحماسة الشجرية / هبة الله العلوي الشجري (ت ٥٤٢ هـ) ، تح عبد المعين الملوحي واسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٠م .

١١- حماسة الظرفاء / عبد الله محمد الزوزني (ت ٤٣١ هـ) ، تح محمد جبار المعيد ، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والفنون ١٩٧٨م .

١٢- الحيوان / للجاحظ ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي (ط ١) ١٩٨٣م .

١٣- دلائل الأعجاز / عبد القاهر الجرجاني ، تح محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة (ط ١) ١٩٦٩م .

١٤- ديوان أبي نواس (ت ١٩٩ هـ) الحسن ابن هانئ / برواية الصولي تح الدكتور بهجة عبد الغفور الحديثي ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ١٩٨٠ م .

١٥- ديوان أبي نواس (ت ١٩٩ هـ) الحسن ابن هانئ / تح وضبط وشرح الغزالي ، بيروت - لبنان (د - ت) .

١٦- ديوان الأعشى / دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

١٧- ديوان الشافعي / جمعه وحققه زهدي يكن ، سلسلة المخطوطات العربية ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٢ م .

١٨- ديوان صالح بن عبد القدوس البصري (ت ١٦٧ هـ) / تح عبد الله الخطيب ، دار منشورات البصري ، البصرة ١٩٦٧ .

١٩- ديوان عدي بن زيد / تح الدكتور محمد جبار المعيد ، شركة دار الجمهورية - بغداد ١٩٦٥م

٢٠- ديوان محمود بن حسن الوراق (ت ٢٢٥ هـ) / جمع وتحقيق عدنان راغب العبدي ، دار البصري - بغداد ١٩٦٩م .

٢١- زهر الآداب / الحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ) ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٥٣م .

٢٢ - سر الفصاحة / ابن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦ هـ) ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

٢٣ - سير أعلام النبلاء / الأمام شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، تح شعيب الارنؤوط ونذير حمدان ، مؤسسة الرسالة بيروت (ط ١) ١٩٨١م .

٢٤- الصحاح / الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) تصنيف نديم مرعشلي واسامة مرعشلي ، دار المعارف العربية بيروت ١٩٧٤م .

٢٥- صفة الصفوة / أبو الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) تح عبد الستار فراج (ط ٣) دار المعارف بمصر (د . ت)

٢٦- طبقات الشعراء / ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ، تح عبد الستار فراج ، دار المعارف بمصر (ط ٣) (د - ت) .

٢٧- طبقات الصوفية / أبو عبد الرحمن السلمي ، تح محمد عبد المنعم ، مصر ١٩٥٣م .

٢٨- طبقات الفقهاء / الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) ، مطبعة بغداد (د - ت) .

٢٩- الطبقات الكبرى / لابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٧٨م .

٣٠- العقد الفريد / ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) ، تح احمد أمين واحمد الزين وابراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (ط ٢) ١٩٥٢م .

٣١- عقلاء المجانين / الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٤٠٦ هـ) ، قدمه وعلق عليه محمد بحر العلوم (د - ت) .

٣٢- العمدة / ابن رشيق القيرواني ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر (ط ٢) ١٩٦٤م .

٣٣- عيون الأخبار / ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر (ط ٢) (د - ت) .

٣٤- الفهرست / ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) ، تح رضا تجدد ، مطبعة طهران (د - ت) .

٣٥- فوات الوفيات والذيل عليها / الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) ، تح . الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت (د - ت) .

٣٦- الكامل / المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته ، دار النهضة مصر ، (د - ت) .

٣٧- لسان العرب / ابن منظور ، (ت ٧١١ هـ) المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، دار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع كوستاتوماس وشركاؤه القاهرة (د - ت) .

٣٨- المحمدون من الشعراء واشعارهم / القفطي (ت ٦٤٦ هـ) ، تح حسن معمري ، دار اليمامة الرياض ١٩٧٠م .

٣٩- مختصر تاريخ دمشق / أبو القاسم بن عساكر الشافعي ، عني بتصحيحه الشيخ عبد القادر بدران ، روضة الشام ١٣٣١هـ .

٤٠- مرآة الجنان / اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) ، مؤسسة الاعلمي بيروت ، (ط ٢) ١٩٧٠ م .

٤١- مفتاح العلوم / السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) دار الرسالة بغداد ١٩٨٢ .

٤٢- مقاييس اللغة / ابن فارس ، تح عبد السلام هارون ، طبعة دار الكتب العلمية ، طهران (د - ت) .

٤٣- منهاج البلغاء وسراج الأدباء / حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) ، تح محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية تونس ١٩٦٦م .

٤٤- الموشح / المرزباني ، المطبعة السلفية القاهرة (د - ت) .

٤٥- ميزان الاعتدال / الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، تح علي محمد البجاوي ، دار أحياء الكتب العربية (ط ١) ١٩٦٣م .

٤٦- النجوم الزاهرة / ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ) ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة (ط ١) ١٩٣٠م .

٤٧- نزهة الجليس / عباس بن علي الموسوي (ت ١١٤٨ هـ) ، المطبعة الوهبية بالقاهرة ١٩٦٧م .

٤٨- نقد الشعر / قدامة بن جعفر، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٤٨م .

٤٩- نهج البلاغة / الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) ، شرح الشيخ محمد عبده ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ، (د - ت) .

٥٠- نور القبس / أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، اختصار أبي المحاسن يوسف بن احمد اليغموري ، تح رودلف زلهايم ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٤م .

٥١- الوافي بالوفيات / صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) دار النشر فرانز شتائيربفيبادن ١٩٦١م .

٥٢- الورقة / ابن الجراح (ت ٢٩٦ هـ) ، تح عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج ، دار المعارف بمصر (ط ٢) (د - ت) .

ب- المراجع

٥٣- أبو العتاهية أشعاره وأخباره/عني بتحقيقها الدكتور شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥م .

٥٤- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري /الدكتور محمد مصطفى هدارة ، دار المعارف ١٩٦٣م .

٥٥- الأسس الجمالية في النقد الأدبي /الدكتور عز الدين إسماعيل ، دار الشؤون بغداد ١٩٨٦م .

٥٦- الأسس النفسية للإبداع الفني / الدكتور مصطفى سويف ، دار المعارف - مصر (ط ٣) ١٩٧٠م .

٥٧ - الأسلوب والأسلوبية /الدكتور عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ١٩٧٧م .

٥٨- الأسلوبية والأسلوب/بيرجيرو ، ترجمة منذر عياش ، مركز الإنماء القومي (د - ت) .

٥٩- الأعلام/ خير الدين الزركلي ، (ط ٣) ، (د - ت) .

٦٠- أعلام النساء / عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة (د - ت) .

٦١ - أعيان الشيعة /السيد محسن الأمين ، دار البيان (ط ٢) ١٩٨٦م .

٦٢- بنية الخطاب الشعري/الدكتور عبد الملك مرتاض ، دار الحداثة بيروت (ط ١) ١٩٨٦م .

٦٣- تاريخ الأدب العربي / عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت (ط ٢) ١٩٧٥م .

٦٤- تاريخ الأدب العربي / كارل بروكلمان ، دار المعارف - مصر ١٩٦١م .

٦٥- التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري / عبد الحكيم حسان ، مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٥٤م .

٦٦- جواهر البلاغة / السيد احمد الهاشمي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان (ط ٢) (د - ت) .

٦٧- الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة / الدكتور صالح أبو إصبع (ط ١) بيروت ١٩٧٩م .

٦٨- حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري / الدكتور يوسف خليف ، طبعة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م .

٦٩- دائرة المعارف الإسلامية / انتشارات جهان تهران ، بوذر جمهري .

٧٠- دراسات في التصوف الإسلامي / محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة (د - ت) .

٧١- زهديات أبي نواس / الدكتور علي الزبيدي ، مطبعة كوستاتوماس القاهرة ١٩٥٩م .

٧٢- الشعر الحر في العراق / الدكتور يوسف الصائغ ، بغداد ١٩٧٨م .

٧٣- الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي / عدنان حسين العوادي ، دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٧٩م .

٧٤- شعر عمر بن الفارض - دراسة في فن الشعر الصوفي -/ الدكتور عاطف جودة ، دار الأندلس للطباعة (د - ت) .

٧٥- شعر اليزيديين / جمعة وحققه الدكتور محسن غياض ، مطبعة النعمان النجف ١٩٧٣م .

٧٦- الشعر والشعراء في العصر العباسي / الدكتور مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين بيروت (د - ت) .

٧٧- شهيدة العشق الإلهي - رابعة العدوية - / عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة (ط ٢) ١٩٦٢م .

٧٨- الصورة الأدبية / الدكتور مصطفى ناصف ، مكتبة القاهرة ١٩٥٨م .

٧٩- الصورة الشعرية / سي دي لويس ، ترجمة احمد نصيف الجنابي ، بغداد ١٩٨٢م .

٨٠- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني / الدكتور علي البطل ، دار الأندلس (ط ٢) ١٩٨٠م .

٨١- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي / الدكتور جابر احمد عصفور ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان (ط ٢) ١٩٨٣م .

٨٢- الصورة الفنية في المثل القرآني / الدكتور محمد حسين الصغير ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ١٩٨١م .

٨٣- العصر العباسي الأول / الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر (ط ٣) (د - ت) .

٨٤- فرائد اللآل في مجمع الأمثال الشيخ إبراهيم بن السيد علي الأحدب الطرابلسي الحنفي ، لم يذكر اسم المطبعة ولا مكان الطبع .

٨٥- الفن والأدب / ميشال عاصي ، بيروت منشورات دار المكتب التجاري (ط ٢) (د - ت) .

٨٦- في الأدب العباسي - الرؤية والفن - / الدكتور عز الدين إسماعيل ، دار النهضة ، بيروت ١٩٧٥م .

٨٧- في التصوف الإسلامي وتاريخه طائفة من الدراسات / قام بها ديتولدآلن نيكلسون ، نقلها إلى العربية وعلق عليها أبو العلا عفيفي ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ١٩٦٩م .

٨٨- في بنية الشعر العربي المعاصر / محمد لطفي اليوسفي ، دار سراس ، تونس ١٩٨٥م .

٨٩- قواعد النقد الأدبي / لاسل كرومبي ، ترجمة محمد عوض محمد ، دار الشؤون بغداد (ط ٢) ١٩٨٦م .

٩٠- المرشد إلى فهم أشعار العرب / عبد الله الطيب المجذوب ، الدار السودانية ، الخرطوم ١٩٧٠م.

٩١- معجم البلاغة العربية / الدكتور بدوي طبانه ، منشورات جامعة طرابلس - ليبيا ١٩٧٥م .

٩٢- معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان (د - ت) .

٩٣- مفهوم الشعر / الدكتور جابر عصفور ، دراسة في التراث النقدي المركز العربي للثقافة والعلوم ١٩٨٢م .

٩٤- مقالة في النقد / غراهام هو ، ترجمة محي الدين صبحي ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٧٣م .

٩٥- موسيقى الشعر العربي / إبراهيم أنيس ، دار العلم بيروت (ط ٤) ١٩٧٤م .

٩٦- موسيقى الشعر العربي / الدكتور نعمان القاضي ، دار الثقافة للطباعة القاهرة ١٩٨٠م .

٩٧- النقد الأدبي / احمد أمين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة (ط ٣) ١٩٦٣م .

جـ- الرسائل الجامعية

٩٨- أبو الفرج البغاء أديباً / وئيس خضر البدري - رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٨٨م

٩٩- تاريخ الزهد والتصوف الاسلامي وأثره في البصرة خلال القرنين الأول والثاني / عادل إسماعيل خليل العبود - رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة البصرة ٢٠٠٢م .

١٠٠- التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول مجاهد مصطفى بهجة - رسالة دكتوراه جامعة الأزهر ١٩٧٥م .

١٠١- الدلالة الوظيفية في بنية الجملة الشعرية / عامر عبد المحسن السعد - رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة البصرة ١٩٩١م .

١٠٢- شعر الزهد والتصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين / رافع اسعد عبد الحليم - رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ١٩٧٥م .

١٠٣- الصورة الشعرية عند شوقي / ثائر محمد الجبوري - رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٨٧م .

١٠٤- عبد الأمير المصيري - دراسة في حياته وشعره / فاضل عبود خميس - رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ١٩٨٩م .

١٠٥- لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين / جمال نجم العبيدي - رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ١٩٨٢م .

١٠٦- محمود الوراق - حياته وشعره / سوسن صالح الطائي - رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بغداد ١٩٩٠م .

٤- الدوريات

١٠٧- التصوير الاستعاري في الشعر / عدنان قاسم ، مجلة الثقافة ، جامعة بغداد ، ع ٧ ١٩٥٨م .

١٠٨- ديوان محمد بن حازم الباهلي / جمعهُ شاكر العاشور ، مجلة المورد ، وزارة الأعلام الجمهورية العراقية ، م ٦ ، ع ١ ١٩٧٧م .

١٠٩- شعر الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) / جمع الدكتور حاتم الضامن وضياء الدين الحيدري ، مجلة البلاغ ، السنة الرابعة طبعة المعارف بغداد ، ع ٤ - ٦ ١٩٧٣م .

١١٠- شعر محمد بن يسير الرياشي / جمعـــهُ وقدم لهُ الدكتور محمد جبار المعيد والدكتور مزهر السوداني ، بحث مقبول ينشر في مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة .

١١١- العتابي (ت ٢٠٨ هـ) وما تبقى من شعره / الدكتور ناصر حلاوي ، مجلة المربد ، آداب البصرة ، ع ٢ - ٣ ١٩٦٩م .

١١٢- محمد بن كناسة الاسدي (ت ٢٠٧ هـ) حياته و شعره ، نصوص باقية من كتابه الأنواء / محمد قاسم مصطفى ، مجلة آداب الرافدين ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ١٩٧٥م .